الله، هى خصلة التقوى، التى تبتنى عليها مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التى توصل الفرد إلى مقام كريم لدى الله فى الدنيا والآخرة (١).

وكذلك ينهى الاسلام أتباعه المسلمين عن المرح وهو البطر والتكبر، مما لا ينبغى بشأن العبودية لله، وبشأن المسلم مع إخوته المسلمين، فقد قال الله تعالى: «ولا تمش فى الأرض مرحاً، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً، كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً» (٢) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى التواضع المطلوب بين المسلمين: «إن الله أوحى أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد» (٣).

وهكذا يشير سماحة الطرازى إلى الوسائل التى تؤدى إلى الإتحاد بين المسلمين، وتجمعهم على الأخوة والمحبة فى سبيل رفع شأنهم وتقدم بلادهم.

ولم يكن سماحة الطرازى يكتفى بالدعوة إلى الاتحاد الاسلامى من خلال مؤلفاته بذكر قضايا المسلمين فى مختلف البلاد الاسلامية، بل كان ينتهز كل فرصة فى اجتماعاته مع زعماء البلاد وعلمائها ومفكريها، ويتباحث معهم فى شئون المسلمين فى كل مكان، ويشاركهم الآلام فى مشاكلهم مشاركة وجدانية، ومشاركة فعلية فى كتاباته عنها إلى حكام المسلمين فى مناسبات مختلفة (٤).

ومن ذلك فقد سافر سماحة الطرازى إلى بلاد الهند فى سنة ١٩٣٦م (٥) وأقام أياماً معدودات فى مدينة دهلى للعلاج من مرض ألم به، وكان تحت إشراف الدكتور مختار الأنصارى الطبيب المعروف، وقد سمع

---

(١) انظر «إلى الدين الفطرى الأبدى» لسماحة الطرازى، ج٢ ص١٠٥ وما بعدها.

(٢) الآية رقم ٣٧ و ٣٨ من سورة الاسراء.

(٣) رواه الإمام مسلم عن عياض بن حمار المجاشعى رضى الله عنه.

(٤) اقرأ «رسائل سماحة الطرازى» إلى زعماء وحكام المسلمين فى المناسبات الاسلامية، وكذلك اقرأ مذكراته اليومية.

(٥) فى الفترة من ١٥ فبراير حتى ٢٥ ابريل سنة ١٩٣٦م الموافق سنة ١٣٥٤هـ.

بقدومه كبار العلماء والزعماء المسلمين بالهند فى ذلك الوقت، أمثال الشيخ سليمان الندوى المفكر الاسلامى، والشيخ أحمد سعيد سحبان الهند، والشيخ محمد كفاية الله مفتى الهند الأكبر، والشيخ حسين أحمد المدنى العالم الجليل، والشيخ القارى محمد طيب رئيس جمعية العلماء بديوبند، والشيخ يوسف البنورى العالم الكبير، والشيخ ظفر على خان رئيس جريدة زميندار، والزعيم سرراس مسعود، وبعض أعضاء جمعية مسلم ليك رحمة الله عليهم، فأسرعوا إلى زيارة سماحته وأقاموا له حفلات الترحيب والتكريم فى الجمعيات الاسلامية والجامعات والمعاهد الدينية، واستمعوا إلى آرائه وناقشوا معه قضايا المسلمين هناك، وكانت الصحف والمجلات(١) تتابع أخبار سماحة الطرازى وتنشر فقرات طويلة من محاضراته وخطبه وكلماته وآرائه فى قضايا المسلمين تحت عناوين بارزة، فمنها «العلاج الوحيد لجميع مصائب المسلمين هو الأخوة والإتحاد ــ بيان للعلامة الطرازى»(٢).

ولما سمع العلامة محمد إقبال المفكر الاسلامى وشاعر باكستان الأكبر، عن أخبار سماحة الطرازى، سافر إليه من لاهور إلى دهلى وقابله مرحباً به بل دعاه إلى مدينة لاهور لإلقاء محاضرة عن إتحاد العالم الاسلامى فى جمعية حماية الاسلام، فقبل سماحته الدعوة، وسافر إلى لاهور ونزل ضيفاً فى قصر الزعيم نواب نياز على خان المجاهد الاسلامى، وحسب ما يرويه الشيخ عبد الشكور فى مقال له أن العلامة إقبال كان يزور سماحة الطرازى عدة مرات فى اليوم، وكانا يتناقشان فى القضايا الاسلامية والمسائل العلمية والأدبية، وكان يحضر هذه المناقشات جمع كبير من علماء ومفكرى لاهور، ويضيف الشيخ عبدالشكور قائلاً: وكنا نشاهد غزارة الدموع على عيونهم تارة ونرى

---

(١) مثل جريدة الجمعية وجريدة زميندار وجريدة إحسان ومجلة الموسيقار وغيرها، كتبت عنه فى أعدادها المختلفة من منتصف فبراير إلى أواخر ابريل سنة ١٩٣٦م.

(٢) بعنوان «مسلمانون كى تمام مصيبتون كاواحد علاج أخوت واتحاد اسلامى هى، علامة طرازى كابيان» باللغة الأردية فى جريدة الجمعية، صادرة من دهلى فى عدد أول مارس سنة ١٩٣٦م.

الإبتسامات على وجوههم تارة أخرى، فقد كانت اجتماعاتهم كلها لخير الاسلام والمسلمين(١) وقد سجل سماحة الطرازى قدومه إلى لاهور بناء على دعوة العلامة إقبال وإلقاء المحاضرة، سجل ذلك فى ديوانه «مثنوى» فى ٢٤ بيتاً تحت عنوان «قصة مهمة لسؤال من عزيزى إقبال» (٢).

ثم جاء موعد المحاضرة، فقام سماحة الطرازى بالقاء محاضرة قيمة بعنوان «وجوب اتحاد العالم الاسلامى» فى الإحتفال السنوى لجمعية حماية الاسلام التى كان يرأسها العلامة إقبال فى لاهور، وكان عدد الحاضرين نحو ثمانية آلاف مسلم، حضروا هذا المؤتمر السنوى من أنحاء شبه القارة الهندية قبل تقسيمها إلى دولة الهند ودولة باكستان(٣) وذلك بتاريخ ١٢ من إبريل سنه ١٩٣٦ م، وقد طبعت المحاضرة من قبل الجمعية باللغتين العربية والأردية ووزعت على الحاضرين (٤).

وقد كتب حول هذه المحاضرة بعض الشخصيات الكبيرة في باكستان (٥) وكان

---

(١) أقرأ التفصيل عن مقابلات واجتماعات العلامة إقبال والعلماء فى مدينة لاهور بسماحة الطرازى فى مقال الشيخ عبد الشكور، نشر فى مجلة «راوى» فى عددها الخاص لسنة ١٩٧٧ عن العلامة إقبال، صادرة من كلية الدولة (كورمنت كالج) التى تخرج منها العلامة إقبال. وكذلك انظر كتاب «علامة اقبال اور انجمن حمايت اسلام» باللغة الأردية أى (العلامة إقبال وجمعية حماية الاسلام) فى لاهور تأليف حنيف شاهد، الخبير بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، طبع سنة ١٩٨٧ م.

(٢) بعنوان «قصة مهمة سؤال ازدوست عزيز إقبال» الديوان «مثنوى» لسماحة الطرازى ص١٥٦ و ١٥٧ وكذلك انظر كتاب «عسكريت در اسلام» بالفارسية أى [الجندية فى الاسلام] لسماحة الطرازى فى فصل «الجهاد والأجل».

(٣) تم تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين وهما دولة الهند ودولة باكستان، وذلك فى ١٤ اغسطس سنة ١٩٤٧ م وكان العلامة إقبال هو صاحب فكرة انشاء دولة باكستان الاسلامية، ولكن العلامة إقبال نفسه فقد توفى رحمه الله قبل ذلك فى سنة ١٩٣٨ م.

(٤) توجد نسخة من هذه المحاضرة فى أكاديمية إقبال فى لاهور بباكستان، كما توجد نسخة منها فى دار الكتب المصرية بالقاهرة.

(٥) انظر مثلاً كتاب «الوحدة فى الشرق» للأستاذ محمد حسن الأعظمى الباكستانى، طبع فى القاهرة، وكذلك انظر مجلة منبر الاسلام صادرة من المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى القاهرة عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٤ هـ.

للعلامة إقبال أيضاً أهتمام كبير بمسألة الاتحاد فهو يعد من أعظم الداعين إليه بين المفكرين من علماء الإسلام (١).

وهكذا نجد سماحة الطرازى رحمه الله، يدعو دوماً إلى إتحاد العالم الاسلامى من خلال مؤلفاته ورسائله ومحاضراته ومحادثاته، إيماناً منه بأهمية الإتحاد فى حياة الأمة الاسلامية، عملاً بأمر الله الحكيم ورسوله الكريم سيدنا وقائدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فنسأل الله تعالى راجين متضرعين، أن يجعلنا متمسكين بتعاليم ديننا، وأن يؤلف بين قلوبنا، ويوحد لنصرة الحق صفوفنا، ويزيل الضعف والهوان عنا، ويرفع التفرقة من بيننا، ويعيد القوة والعزة إلينا، حتى نفخر بمجدنا وإسلامنا، ونصبح قادرين على تحمل مسئولياتنا، وجديرين بقيادة البشرية، نحو الإيمان والخير والفضيلة، لقوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله» (٢). صدق الله العظيم.

---

(١) انظر «الشاعرالاسلامى الكبير محمد إقبال» بحث للدكتور عبدالله الطرازى نشر فى مجلة كلية الآداب بجامعة الملك عبدالعزيز فى جدة، العدد الخامس لسنة ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م ص٧٧ ـ١٠٩ وكذلك انظر «العلامة إقبال المفكر الاسلامى» محاضرة للدكتور عبدالله الطرازى ألقاها بمدرسة السفارة الباكستانية فى جدة بمناسبة الاحتفال السنوى بيوم إقبال فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٨٦م وقد نشرت بعض الصحف فى المملكة العربية السعودية وفى باكستان تعليقات طيبة حول هذه المحاضرة، مثل جريدة عرب نيوز Arab News عدد يوم الثلاثاء ١١ نوفمبر سنة ١٩٨٦م ـ وجريدة سعودى كازيت Saudi gazette عدد الأثنين ١٧ نوفمبر سنة ١٩٨٦م ـ وجريدة نواى وقت لاهور Nawai Waqt Lahor عدد يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٨٦م. وأيضاً انظر «العلامة إقبال داع عظيم للاتحاد الاسلامى» محاضرة للدكتور عبدالله الطرازى ألقاها باللغة الأردية فى احتفال كبير بفندق فيتز بمدينة لاهور بدعوة من أكاديمية إقبال فى باكستان فى ٢٤ يناير سنة ١٩٨٧م، وقد كتبت بعض الصحف الباكستانية أخباراً حول هذه المحاضرة مثل جريدة نواى وقت لاهور عدد يوم الأحد ٢٥ يناير سنة ١٩٨٧م ـ وجريدة وفاق لاهور عدد يوم الأحد ٢٥ يناير سنة ١٩٨٧م، واقرأ تأليف الدكتور عبدالله الطرازى، طبع فى جدة سنة ١٩٨٧م.

(٢) الآية رقم ١١٠ من سورة آل عمران.

(١٤)

أهم مراجع البحث

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ صحيح البخارى ـ للإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى، المتوفى سنة ٢٥٦ هـ رحمه الله، ٩ أجزاء، الطبعة الثانية فى بيروت سنة ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م.

٣ ـ صحيح مسلم ـ للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، المتوفى سنة ٢٦١ هـ رحمه الله، ٨ أجزاء، طبع فى القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ.

٤ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى، طبع فى القاهرة سنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥ م.

٥ ـ كتاب «إلى الدين الفطرى الأبدى ـ الاسلام» فى جزأين ـ لسماحة الشيخ مبشر الطرازى الحسينى، تم طبعه على نفقة رابطة العالم الاسلامى، فى القاهرة سنة ١٩٧٢ م.

٦ ـ كتاب «نبذة فى السيرة النبوية» على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ لسماحة الطرازى، طبع فى القاهرة سنة... وطبع للمرة الثانية من طرف مجمع البحوث الاسلامية بجامعة الأزهر سنة....، ثم طبع للمرة الثالثة فى الاسكندرية سنة ١٩٨٤ م.

٧ ـ الديوان «مثنوى» لسماحة الطرازى، تم نظمه سنة ١٣٦٦ هـ وطبع فى القاهرة سنة ١٤٠٦ هـ.

٨ ـ كتاب «الأربعون الطرازية» أربعون حديثاً فى الأخوة والمحبة فى الله ـ لسماحة الطرازى، طبع فى القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ.

٩ ـ كتاب «توحيد أوئل الشهور العربية» لسماحة الطرازى، طبع سنة ١٣٩١ هـ/ سنة ١٩٧١م.

١٠ ـ محاضرة «وجوب إتحاد العالم الاسلامى» لسماحة الطرازى وهى تحتوى على ٥٣ صفحة ألقاها فى جمعية حماية الاسلام بلاهور بدعوة من العلامة محمد إقبال مفكر باكستان، وطبعت فى عدد خاص لمجلة الجمعية باللغتين العربية والأردية فى لاهور سنة ١٩٣٦م.

١١ ـ كتاب «إلى الجندية أيها العرب» لسماحة الطرازى، ألفها بمناسبة قضية فلسطين التى هى قضية المسلمين جميعاً، تم طبعه فى القاهرة سنة ١٩٦٠م.

١٢ ـ كتاب «الجندية فى الاسلام» لسماحة الطرازى، باللغة الفارسية، تم تأليفه سنة ١٩٥٠م، وترجم إلى العربية سنة ١٩٨٥م.

١٣ ـ كتاب «إجمال المسلمين فى روسيا» لسماحة الطرازى، كان فى الأصل محاضرة ألقاها فى نقابة الصحفيين فى القاهرة، طبع فى القاهرة سنة ١٩٥٢م/ ١٣٧١هـ.

١٤ ـ كتاب «كشف اللثام عن رباعيات عمر الخيام» لسماحة الطرازى، وفيه بيان عن دور الإستعمار فى تفريق الأمة الاسلامية، الطبعة الأولى فى القاهرة سنة ١٩٦٠م والطبعة الثانية فى القاهرة سنة ١٩٨٥م.

١٥ ـ رسائل سماحة الطرازى إلى بعض حكام المسلمين وزعمائهم وعلمائهم فى المناسبات الاسلامية ومذكراته اليومية.

١٦ ـ كتاب «تركستان قلب آسيا» فى تاريخ تركستان الشرقية، للعالم الأزهرى التركستانى الشهيد الأستاذ عبدالعزيز بن العلامة قاضى القضاة داملا عاشور أعلم آخوند البكورى بتركستان الشرقية، فيه ذكر عن تأسيس الدولة الإسلامية للأشراف فى تركستان الشرقية على يد حضرة جد سماحة الطرازى، طبع فى القاهرة سنة ١٩٤٥م.

١٧ ـ كتاب «الوحدة فى الشرق» للأستاذ محمد حسن الأعظمى الباكستانى، وفيه فصل حول إمكانية الإتحاد الاسلامى، وبه فقرات طويلة من محاضرة «وجوب إتحاد العالم الإسلامى» لسماحة الطرازى فى لاهور سنة ١٩٣٦، طبع فى القاهرة سنة ١٩٦٠م.

١٨ ـ كتاب «علامة إقبال اورانجمن حمايت اسلام» أى (العلامة إقبال وجمعية حماية الاسلام) باللغة الأردية، فيه فصل عن سماحة الطرازى ومحاضرته «وجوب إتحاد العالم الاسلامى» فى لاهور سنة ١٩٣٦ ـ تأليف الأستاذ حنيف شاهد الخبير بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ـ طبع سنة ١٩٨٦م.

١٩ ـ كتاب «المفكر الاسلامى الكبير العلامة الدكتور محمد إقبال» للدكتور عبدالله مبشر الطرازى، طبع فى جدة سنة ١٩٨٧م.

٢٠ ـ مجلة الإعتصام الشهرية ـ صادرة من القاهرة، فيها مقال طويل للأستاذ المحامى خميس عطية بعنوان «فقيد الدعوة الاسلامية سماحة الطرازى» عدد ربيع الأول سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٢١ ـ مجلة رابطة العالم الاسلامى ـ صادرة من مكة المكرمة، وفيها مقال طويل للأستاذ الكبير أنور الجندى بعنوان «العلامة الطرازى فى وديعة الله» عدد جمادى الأولى سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٢٢ـ مجلة منبر الإسلام ـ صادرة من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى القاهرة، وفيها مقال لسماحة الطرازى حول إتحاد العالم الإسلامى، عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٤هـ.

٢٣ ـ مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز فى جدة، وفيها بحث للدكتور عبد الله مبشر الطرازى عن إقبال وسماحة الطرازى وجهودهما فى سبيل إتحاد العالم الاسلامى، العدد الخامس لسنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٤ ـ مجلة «راوى» باللغة الأردية صادرة من كلية الدولة (كورمنت كالج

التى تخرج منها العلامة إقبال، وفيها مقال للأستاذ الشيخ عبدالشكور الباكستانى، حول مقابلات واجتماعات العلامة إقبال والعلماء الأفاضل مع سماحة الطرازى فى مدينة لاهور، العدد الخاص عن العلامة إقبال لسنة ١٩٧٧م.

٢٥ ـ مجلة أكاديمية إقبال باللغة الأردية ـ صادرة من لاهور فى باكستان، فيها بحث للدكتور عبدالله مبشر الطرازى، بعنوان «علامة محمد إقبال، إتحاد عالم اسلامى كى عظيم داعى» باللغة الأردية، أى (العلامة محمد إقبال داع عظيم لاتحاد العالم الاسلامى) وفيه ذكر عن سماحة الطرازى ودعوته إلى الإتحاد الاسلامى، عدد مارس لسنة ١٩٨٧م.

٢٦ ـ مجلة موسيقار ـ باللغة الأردية، صادرة فى دهلى بالهند، وفيها بيان حول ترحيب العلماء المسلمين فى الهند بسماحة الطرازى وذكر جهوده فى سبيل قضايا المسلمين، عدد مارس سنة ١٩٣٦م.

٢٦ ـ مجلة إجتماع ـ باللغة الأردية، صادرة فى دهلى بالهند، وفيها خبر عن قدوم سماحة الطرازى إلى دهلى وترحيب العلماء المسلمين به هناك، عدد مارس سنة ١٩٣٦م.

٢٨ ـ جريدة زميندار ـ باللغة الأردية، صادرة فى لاهور، وفيها حديث طويل لسماحة الطرازى حول إتحاد العالم الاسلامى، بعنوان «علامة سيد مبشر طرازى كاپيغام مسلمانان هندكى نام» أى (خطاب العلامة السيد مبشر الطرازى إلى مسلمى الهند) عدد ١٢ ابريل سنة ١٩٣٦م.

٢٩ ـ جريدة إحسان ـ باللغة الأردية، صادرة فى لاهور، وفيها خبر عن محاضرة سماحة الطرازى بعنوان «وجوب إتحاد العالم الاسلامى» فى جمعية حماية الاسلام التى يرأسها العلامة إقبال، عدد ١١ ابريل سنة ١٩٣٦م الموافق ١٨ المحرم ١٣٥٥هـ.

٣٠ ـ جريدة الجمعية ـ باللغة الأردية، صادرة فى دهلى بالهند، فيها عن سماحة الطرازى والاحتفالات التكريمية له من قبل الجمعيات

الاسلامية، عدد ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٦م، وعدد ١٦ مارس سنة ١٩٣٦م، وخطاب لسماحة الطرازى إلى مسلمى الهند تحت عنوان «مسلمانون كى تمام مصيبتون كاواحد علاج أخوت واتحاد اسلامى هى ـ علامة طرازى كابيان» أى (العلاج الوحيد لجميع مصائب المسلمين هو الأخوة والإتحاد الاسلامى ـ بيان للعلامة الطرازى) عدد أول مارس سنة ١٩٣٦م.

٣١ ـ جريدة وفاق اليومية، صادرة من لاهور فى باكستان باللغة الأردية، عدد يوم الأحد ٢٥ يناير سنة ١٩٨٧م.

٣٢ ـ جريدة نوائى وقت، صادرة من لاهور فى باكستان باللغة الأردية، عدد يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٨٦م وعدد يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٨٧م.

٣٣ ـ جريدة عرب نيوز Arab News صادرة من المملكة العربية السعودية باللغة الإنجليزية عدد يو الثلاثاء ١١ نوفمبر سنة ١٩٨٦م.

٣٤ ـ جريدة سعودى كازيت Saudi Gazette : صادرة من المملكة العربية السعودية باللغة الانجليزية عدد يوم الاثنين ١٧ نوفمبر سنة ١٩٨٦م..

ثانياً: أبحاث حول الجهاد والدعوة الإسلامية

(٤) الجلسة الثالثة [أ.د. عبدالله الطرازى يلقي كلمته وأ.د. عبدالنعيم حسنين رئيس الجلسة وأ.د. مقرر الندوة].

(٥) الجلسة الرابعة [د. شيرين عبدالنعيم تلقى كلمتها وأ.د أحمد الخولى رئيس الجلسة وأ.د مقرر الندوة].

الدعوة الإسلامية والتحديات المعاصرة

للمستشار الدكتور/ جمال الدين محمود
نائب رئيس محكمة النقض
والأمين العام للمجلس الأعلى
للشئون الاسلامية

من أهم مايلفت النظر فى هذا الموضوع أنه يجمع بين النظر فى الاسلام وبين النظر فى أحوال العصر الذى نعيش فيه ــ أو هو بصفة موجزة الإنسان المسلم والحياة ــ وبذلك يكون الموضوع هو موضوع العالم الاسلامى كله فى حياته ومستقبله، ذلك أن شعوب العالم الاسلامى فى هذا العصر بالذات تحتاج إلى التذكير الدائم بهويتها الأصيلة الذاتية ــ فهذه الشعوب من بين شعوب العالم كله تلقت أصولها الاجتماعية من السماء ــ فلم تكن الأصول نتيجة تطور تاريخى واجتماعى فحسب أو فكر بشرى خالص. ولذلك امتزجت هذه الأصول الاجتماعية دائماً بنفوس ووجدان الأمة الإسلامية وظلت تعيش فى نفسها وروحها دائماً، ولكنها بسبب الظروف التاريخية التى تعترض مسيرة الشعوب كانت تضطر للاختفاء أو الاضمحلال فى حياتها الظاهرة وكان ذلك، ولا يزال يسبب للأمة الإسلامية أو لجانب كبير من شعوبها فى مراحل عديدة من تاريخها مشكلة خطيرة هى الأنفصال بين الإنسان المسلم وعصره وهى مشكلة الاغتراب وهى مشكلة المسلم الفرد والعالم الإسلامى كله التى طال أمدها فى العالم الاسلامى كله (ماذا نريد منه فهل نريد من المسلم ومن شعوب الأمة الإسلامية أن تحقق رسالة الاسلام فى هذا العصر أم نريد من هذه الأمة أن تسرع الخطى إلى هذا

العصر حتى ولو تركت ورائها كل شئ ؟) هذا هو السؤال ونحن لا نستطيع أن نجيب عليه بكلمة واحدة فلا شك أن السؤال ليس بهذه البساطة كما أنه يتعلق بأمرين كلاهما لا يستطيع المسلم فردا أو جماعة ــ أن يختار بينهما فحسب ــ وهما الاسلام أو العصر الذى يعيش فيه المسلم ــ فهو لايستطيع أن يستغنى عن الاسلام لإرتباطه بحياته النفسية والفكرية وبحياته المادية ولا يستطيع أيضا أن يعيش حياته كلها خارج عصره ولا شك أن كلا الأمرين غير مطلوب من وجهة النظر الإسلامية .

من أجل السؤال وأهميته ومن أجل ذلك سوف نثبت فى هذا البحث الموجز أن الاسلام هو الذى يتحدى « العصر » وليس العكس ، وسوف نحاول أن نضع يدنا على مشكلات التحدى وكيفية التصدى لها وتجاوزها بما يجعل المسلم الفرد والشعوب الإسلامية كلها تحس أنها تعيش بالإسلام داخل عصرها ولا تعيش بغير الاسلام أو تعيش غريبة عن زمانها .

أولا : العصر الذى نعيش فيه :

من المؤكد أن البشر لم يجدوا أنفسهم فجأة فى هذا العصر الذى يعيشونه ويعرفونه تماما ولا بد أن كل خصائصه وسماته الاجتماعية كانت تسرى فيهم جيلاً بعد جيل حتى برزت هذه الخصائص والسمات واضحة جلية وأصبحت ظاهرة لكل من يحاول أن يرصد هذه السمات والخصائص ــ والواقع أن كل حقبة زمنية فى التاريخ الإنسانى لها خصائص عامة تميزها ، بل أن كل حقبة زمنية فى تاريخ شعب من شعوب أو أمة من الأمم نلحظ فيها سمات وخصائص معينة ونستطيع أن نضع يدنا عليها تماما ، فمن منا لا يستطيع تميز الاقطاع وسيطرة رجال الدين والتخلف العلمى فى القرون الوسطى ومن منا ينكر الثورات الكبرى فى بداية العصر الحديث وأخيراً من يملك أن يتجاهل التقدم العلمى المذهل الذى نعيش فيه كمثال على مميزات العصر وكيف تتسارع المعلومات والمعارف العلمية فيه بحيث يصبح الجديد فى العلم والتطبيق قديما ربما قبل أن يصفه البعض بأنه قديم أم حتى دون أن يصل إلى علمهم ، ومن اللازم ونحن نحاول أن نؤكد قدرة الاسلام على تحدى العصر

أن نعرف سمات وخصائص ومميزات هذا العصر الذى نعيش فيه فلابد أن نحدد على الأقل أهم خصائص هذا العصر حتى نستطيع أن نجيب عن سؤال يبحث عنه أغلب المسلمين فى العالم الاسلامى وهو ولاشك السؤال الرئيسى لهذه الشعوب، هل نستطيع أن نتحدى من تلك السمات والخصائص ما يصطدم مباشرة مع الإسلام، وهل لدينا مانستطيع أن نقدمه ونؤكد صحته ونعمل على ترسيخه بدلها؟ وهل هناك من خصائص هذا العصر وسماته ما نستطيع أن نتعايش معه؟ أو أن نحرص عليه؟ أو نستفيد منه فلا نتحداه بل ونقف إلى جانبه؟.

ان هذا السؤال له أهميته الكبرى لأننا كمسلمين لا نعيش وحدنا فى هذا العالم ونحن نؤثر فيه ولكننا نتأثر به أيضا ربما بدرجة أكبر فى هذا العصر ولا نملك أن نرفض هذا التأثر أو نتجاوزه على الأقل على مستوى الشعوب .إن موقفنا إزاء الآخرين أو موقف المسلم من «الغير» كان دائماً محل تساؤل، وأود أن أنفى بسرعة ماقد يتبادر إلى الذهن من أن المسلم «الفرد أو الجماعة المسلمة» تحاول استبعاد غيرها أو نفى وجودها. ان الأمر على العكس من ذلك تماما ولكن مايصوره بتلك الصورة الزائفة أحيانا هو أن العالم الاسلامى فى مجموعه قد عرف «الغير» فى مناسبة مؤلمة فقد كان هذا الغير فى بداية هذا التعارف فى «الموقف الأقوى» وتاريخ شعوب أفريقيا وآسيا الاسلامية يؤكد ذلك. لقد عرفنا «الغير» مهاجما ومتفوقا فى العلم فى آن واحد وكان تأثر الشعوب الاسلامية بهذا «الغير» رغما عنها فى كثير من الأحيان وحتى مايكون منه اختياريا فإنه مما تقتضيه السنن الاجتماعية التى تفرض ثقافة الغالب وشرائعه وعاداته الاجتماعية على المغلوب. ومع ذلك التأثر بكل أسبابه وصوره فلم ينصهر المسلمون تماما فى هذه الثقافة الوافدة ولا الشرائع الدخيلة ولم يستشعروا الراحة النفسية الكاملة وهم يعيشون حياتهم الاجتماعية مثل «الغير» بدرجة أو بأخرى، فالعصر الذى نعيش فيه هو عصرنا بالتأكيد كما هو عصر غير المسلمين، والتساؤل عن تحديه هو بحث عن الاستقرار النفسى والمادى للفرد والشعوب الاسلامية أيضا. فلاشك أن نجاحنا فى تجاوز أهم مشكلات العصر يعنى الاستقرار والتقدم

وسوف نكتشف دائماً أن طريق الاسلام هو نفس الطريق للاستقرار والتقدم ماديا وروحيا.

ما الذى يمكن أن نتحداه؟

لا نستطيع أن نحدد بطريقة حاسمة كل خصائص وسمات العصر الذى نعيش فيه سواء كانت هذه الميزات والخصائص ايجابية أو سلبية، ذلك أننا لا نعيش وحدنا فى هذا العالم، وإذا كان العالم تبدو أجزاؤه اليوم قريبه من بعضها البعض بفعل وسائل الاتصال والنقل فإنه يشمل تجمعات بشرية كبرى تتجاوز فى بعض الأحيان مئات الملايين من البشر ولكل منها خصائصها الثقافية والاجتماعية وأصولها العرقية أيضا، فالاختلاف والتنوع ظاهرة على المستوى الإنسانى كله. ولذلك فنحن حين نحاول ذكر خصائص العصر وسماته لا نقصد الاحصاء والتعداد لهذه الخصائص بقدر ما نستهدف بيان أهم السمات الأساسية للحياة فى هذا العصر فى معظم البلاد وبين البشر فى أنحاء العالم، سواء كان الهدف هو التصدى لها أو اللحاق بها. واذا كان الأمر يخص المسلمين بالذات فينبغى أن تكون المقارنة بين مجموع المسلمين ومجموع أكبر فى العالم الذى نعيشه ونتأثر به فى الغالب فى معظم شئون حياتنا، ينبغى إذاً أن تقتصر على سمات هذا العصر التى نضعها فى مواجهة التحدى الاسلامى وأن نقلل من أهمية الخلافات البسيطة بين البشر فى هذا العصر وأن نركز على تلك السمات الأساسية التى يمكن لأى باحث أن يقول وهو مطمئن تماما أن العصر الذى نعيش فيه يتميز بها ويصطبغ بلونها. إن هذه السمات تظهر فى العالم المتقدم والعالم النامى على السواء وبين مجتمعات آسيا وأفريقيا كما تظهر فى المجتمع الأمريكى والأوروبى مثلا. ربما كانت الدرجة مختلفة والمدى أقل ولكنها لا تختفى من المجتمع المعاصر فى مجموعه وهذا بالضبط ما نقصده حتى يمكن أن نرى هل يستطيع تجاوز ما يعتبر قيمة سلبية من قيم العصر واللحاق بقيمه الايجابية أو لا.

عصر الخير أو الشر؟

ومنذ خلق الله البشر كان هناك الخير والشر على هذه الأرض، ولا نستطيع أن نصف عصراً بأنه عصر الخير كله ولا عصر الشر بجملته فلم يوجد

عصر خلا من الخير أو الشر تماما ، وهذا العصر الذى نعيش فيه لا يشذ عن هذه القاعدة ولا يصح لنا أن نصفه بأنه يحتوى على الشرور وحدها أو أنه عصر الرقى المادى والمعنوى بلا تحفظ . ولا نستطيع أن نقول أن الاسلام غريب تماما عن هذا العصر مثلاً ، إننا كمسلمين نعرف تماما أن الاسلام صالح لكل زمان ومكان وأنه الدين الخاتم والبناء الخلقى الدائم والأصول التشريعية السليمة لكل مجتمع بشرى ، ولذلك ينبغى أن نعرف أن فى هذا العصر من الخير الكثير وأن نعرف أن التقدم الانسانى ظاهر فيه ونعنى التقدم المادى والروحى ، والنظرة المنصفة مطلوبة دائما لا سيما حين ننظر إلى التاريخ وإلى مجتمعات بأسرها لنحكم عليها ، فنحن لا نحاول التحدى لمجرد التحدى أو معاداة روح العصر أو الانعزال عنه إذ أن الاسلام لا يطلب العزلة لنفسه أو للغير ، وهذا هو السبب الذى يجعلنا نرفض المبالغة فى عرض السمات أو الخصائص السلبية . فقد درج الناس فى الغالب وفى كل المجتمعات الانسانية على السواء أن يعتبروا الماضى خيرا من الحاضر على المستوى الفردى بالذات وقد يصدق هذا القول فى نواح عديدة وفى مجالات كثيرة ولكنه يغفل مقدار ما حققه الانسان فى قرون طويلة حتى وصل بأجياله المتلاحقة إلى هذا العصر الذى يعيش فيه . لقد حقق الانسان كثيرا من أحلامه فى الحرية والاستقلال وكرامة الانسان وحاول أن يصل إلى طموحاته الكبيرة فى العلم والفكر والفن ، ولا شك أن من يرصد هذا العصر وما يجرى فيه على المستوى الإنسانى وعلى المستوى الاسلامى الخاص فسوف يجد صورا عديدة للتقدم المادى والروحى داخل الشعوب الاسلامية التى تعيش هذا العصر بكل قيمه الايجابية أو السلبية . ان الشعوب الاسلامية ليست مطالبة بأن تتحدى عصرها لكى تخرج منه وتعيش فى الماضى ، لأن هذا العصر ملك لها ومن حقها أن تعيشه ومن حق أجيالها أن تتمتع بحياتها فيه ولكنها ملزمة بحكم واجبها الاسلامى أن تتحدى كل قيم العصر السلبية وأن تتمسك بكل قيمه الايجابية التى تتفق مع الإسلام . إن الاسلام فى الواقع لا يتحدى العصر بل يحاول أن يجعل صورته أمام أجيال المستقبل أكثر نقاء واشراقاً وفى نفس الوقت - وهذا هو الأهم - ان يفتح بهذه القيم الاسلامية أمام أجيال هذا العصر كل أبواب التقدم والنجاح ، ولذلك فإن أهم ما نقدمه

من اجابة على السؤال المطروح هو أننا ينبغى أن نفكر فى اللحاق بكل قيم هذا العصر الايجابية وكل نجاحاته وفى نفس الوقت ينبغى أن نقاوم ونتصدى بكل العزم والتصميم لكل مافى هذا العصر من قيم سلبية، فقد فعل الاسلام ذلك فى بداية دعوته حين حول عصره من عصر الجاهلية إلى عصر الهدى والنور. وفى معركتنا من أجل اللحاق بايجابيات العصر ومقاومة سلبياته، وسوف يكون سلاحنا الأول والأقوى هو الاسلام أيضا بوصفه البناء العقائدى والخلقى والاجتماعى لهذه الأمة الواحدة.

١ ـ عصر المادة

لا شك أننا جميعاً ندرك أن العصر الذى نعيش فيه هو عصر يتميز بالمادية الغالبة على النفس وعلى العقل معا، وغلبة النزعة المادية على النفس هى مشكلة خلقية تولت الأديان كلها علاجها، أما إذا تمادت النزعة المادية على العقل فهنا يكون الخطر على «فكر المجتمع» وسياساته وتوجيهاته، والنزعة المادية الظاهرة فى هذا العصر لم تأت من فراغ ولم تهبط فجأة بل تقدمها فى بداية العصر الحديث فلسفات ونظريات تبشر بها من أهمها المادية الجدلية على يد هيجل ثم الماركسية كما بشرت بها أيضا بطريقة أخرى الرأسمالية الغربية فى فلسفتها «البراجماتية» وتسارعت هذه النزعه فى الظهور بين الأفراد العاديين ثم سارت على المستوى العالمى ولا شك أن ذلك يمثل قيمة سلبية ينبغى أن يتحداها الاسلام على المستوى الفردى والجماعى حين يصبح الهدف الشخصى فى غالب الأحيان هو تحصيل المادة، ولا شك أن ذلك فى ذاته ليس مخالفاً للإسلام باعتباره توجيها اسلاميا نحو تحقيق الخير للفرد والمجتمع ولكن ازدياد هذه النزعة وسيادتها على نفس الانسان وعقله والتضحية فى سبيلها فى كل شىء هو الذى يجعلها نزعة خطيرة يمكن أن تغير البناء الاجتماعى كله لاسيما فى شعوب العالم الإسلامى الذى تقضى شريعته بإقامة العدل والتعاون وأيضا التكافل الاجتماعى وإذا كانت بعض المجتمعات غنية وقادرة على توفير متطلبات الحياة الأساسية للأفراد جميعا فإن شعوب العالم الإسلامى مطالبة بأن تتحدى هذه النزعة المادية بصورتها الخلقية والفكرية معا وعلى المستوى العالمى أيضاً. ان شعوب العالم الإسلامى الغنية

ينبغى أن توجه اهتماما كبيرا لهذه النزعة وأن تتحداها فيما بينها وفى علاقاتها الاقتصادية بإقامة نوع من التعاون القائم على التكافل ومد يد المساعدة إلى الشعوب الإسلامية الفقيرة، وأفضل ما يمكن أن تساعد به هو المساهمة فى إقامة الهياكل الاقتصادية المطلوبة فى بلاد إسلامية كثيرة تفتقر إليها. إن المطلوب ليس مجرد المساعدة التى تأتى متقطعة أو مؤقتة تبعا لظروف سياسية معينة ولكن المطلوب هو الخطة الكفيلة بتقديم رأس المال والخبرة اللازمة لتحقيق هذا الهدف فى أسرع وقت وبأسلم الطرق وأن يكون ذلك طبقاً لفكر إسلامى يتحدى أسس العلاقات المادية التى تسود بين شعوب العالم فى هذا العصر. فلا يوجد مسلم يقبل أن تمتنع بلد إسلامى قادر ماديا على إقراض بلد آخر يحتاج إلى المساعدة ولا يقبل شرعاً أن تكون هذه المساعدة مشروطة بالثمن أوتستهدف الربح المادى وحده. وإذا كان العالم فى هذا العصر تسوده النزعة المادية فى علاقاته فإن الله تعالى جعل الغنى والثروة فى قلب العالم الإسلامى كله وفى أطرافه فى أنحاء المعمورة، وفى هذا العصر بالذات يملك العالم الإسلامى أهم الموارد الأساسية للبشر، ويملك امكانيات أكبر من كل احتياجاته بكل المقاييس والتحدى الذى تواجهه الشعوب الإسلامية هو ان نستطيع توظيف هذه الموارد لخدمة شعوب العالم الاسلامى طبقاً لخطة إسلامية بل طبقا لخطة خلقية وانسانية أيضاً وذلك بعيداً عن النزعة المادية السائدة فى المعاملات التجارية العالمية التى قد لاتقبل فكرة التكافل أو حتى التعاون العادل كأساس لهذه المعاملات.

ويأتى بعد ذلك واجب الحكومات الاسلامية فى أن تتحدى هذه النزعة المادية فى الداخل بإقامة نظامها الاقتصادى على أسس إسلامية تراعى التكافل والعدل الاجتماعى ــ وهو ليس مطلباً ايديولوجيا فى البلاد الاسلامية بل يعد تكليفا دينيا ــ وبعيداً عن التفاصيل التى تتعلق بكل شعب اسلامى على حده، فإنه لا يمكن اسلاميا قبول الغنى الفاحش والفقر المدقع جنباً إلى جنب فى بلد واحد ولا يمكن قبول الاستغلال والظلم الاجتماعى من طبقة لأخرى أو من طائفة لغيرها داخل بلد واحد، فالتصدى للنزعة المادية طبقا للفكر الاسلامى لا يكون بالقضاء على طرق الغنى

والثروة ووسائل تحقيق الرخاء لكافة الناس، ولكنه يكون باستخدام الحلول الاسلامية والتوجيهات الاسلامية لتحقيق أقصى قدر من الغنى والثروة فى الانتاج الزراعى والصناعى وأكبر درجة من عدالة التوزيع.

إن الاسلام يمكنه أن ينجح اذا أدركت شعوب العالم الاسلامى مجتمعة أن المادة فى هذا العصر هو عصب الحياه وأنها أول عناصر القوة فى هذا العالم وأن الأفقر هو الأضعف دائما فى الأفراد وفى الشعوب، والعالم الاسلامى فى هذا العصر يملك ثروات طائلة تكفى حاضره وتؤمن مستقبله، واذا استطعنا أن نلتزم بالتوجيه الاسلامى فى العلاقات الاقتصادية بين شعوب العالم الاسلامى وفى أسس الاقتصاد داخل هذه الشعوب أمكن مواجهة التحدى الحقيقى الذى يتمثل الآن فى عالم اسلامى غنى فى مجموعه ولكنه بكل أسف فقير وضعيف فى دوله أيضا ولن يحل هذه المعضلة إلا التوجيه الاسلامى فى الاقتصاد سواء فى العلاقات بين شعوب العالم الاسلامى أو فى سياسات الحكومات الاسلامية فى الداخل.

وتأتى أهمية المواجهة فى هذا العصر بالذات فإن الشعوب كالأفراد يتداول عليها الغنى والفقر ولم تعرف الشعوب الاسلامية فى مجموعها منذ عدة قرون تراكما للثروة فيها مثل هذا العصر وكلما سارعت هذه الشعوب فى الأخذ بالتوجيه الاسلامى للاقتصاد كلما اقتربت من الاستفادة من الفرصة الذهبية التى فى يدها الآن والتى يخشى ألا تعود مرة أخرى.

عصر التقدم العلمى:

يجمع العلماء على أن المعارف الانسانية لا سيما ما يتعلق بالعلم وتطبيقاته قد زاد بمعدلات واسعة من العصور السابقة كلها وهى تتراكم بسرعة زائدة تعجز بعض المجتمعات عن اللحاق بها، فالفارق فى مجال العلوم وتطبيقاتها كبير بين أمريكا واليابان وبين أوروبا، وهو فارق هائل بين هذه البلاد وبين البلاد الاسلامية، ويضع ذلك على عاتق البلاد الاسلامية وعلى علمائها بوجه خاص مهمة تقليل هذا الفارق حتى يمكن الغاءه فى المستقبل المنظور فلم يعد العلم الآن أو تطبيقاته رسالة من الانسان عبر الأجيال فحسب ولكنه

أصبح عنصراً هاما من عناصر القوة يوازى المال ويساويه فى الأهمية وأصبح الحرص على النجاح العلمى واستغلاله أكثر من الحرص على المال لأنه الوسيلة إليه وإلى القوة معا، وهذه المشكلة تعانى منها البلاد الاسلامية كلها تقريبا وليس غريبا فى هذا العصر أن يكون للعلم ثمن باهظ تعجز عن دفعه كثير من الشعوب الاسلامية.

كيف نتحدى إذاً هذه الفجوة الكبيرة وما السبيل التى نخطيها؟ وكيف نلحق بهذه القيمة الايجابية وهل يفتح لنا الاسلام الطريق؟.

ونبادر إلى القول بأن ذلك لن يحدث فجأة مهما كان العزم والتصميم أو وفرة الاستعداد أو المال ولكنه يحتاج إلى جيل أو عدة أجيال وليس ذلك عذرا للتخلف أو التردد ولكنه دعوة للاعداد وللاسراع فى التنفيذ.

إن الاهتمام بالعلم وتطبيقاته فى أى بلد اسلامى هو توجيه اسلامى خالص، وقد التقط هذا التوجيه من القرآن ومن السنة النبوية المسلمون الاوائل وفى خلال قرن من الزمان كانوا أكثر شعوب العالم وقتئذ علوما وحضارة ومن الواجب أن يقوم التعليم فى البلاد الاسلامية على الاهتمام بالعلوم الطبيعية اهتماما كبيرا ومن نافلة القول أن نذكر أن الاسلام يدعو إلى ذلك ويأمرنا به ويجعله واجبا دينيا اذا ألجاتنا الضرورة إليه وهذه الضرورة قائمة فى هذا العصر بالفعل. فالبلاد الاسلامية تعيش عالة على غيرها فى العلم وتطبيقاته معا، واذا تركنا الغذاء جانبا وهو ما نستورد معظمه فنحن نستورد من خارج العالم الاسلامى كل المصنوعات التى نستخدمها فى حياتنا وفى الدفاع عن حياتنا أيضا، ابتداء من اللباس وأدوات المعيشة والسيارة وانتهاء بالسلاح الذى ندافع به عن الاسلام وشعوبه ويمكن أن يستمر الحال كذلك إذا قبلنا موقف الضعف المادى والروحى الدائم. إن واجب الشعوب الاسلامية وحكوماتها فى هذا العصر لم يعد مجرد واجب بل أصبح فرضا دينيا مثل العبادات سواء بسواء، والنجاح فى هذا التحدى لا يمكن الحصول عليه إلا إذا فهم الطفل المسلم منذ نعومة اظفاره أن يصلى لله ويهتم بما حوله ويدرسه وأن يحاول ارتياد هذا الكون الواسع، ومن العار أن

نفشل فى تحقيق الانجاز العلمى والقضاء على مشكلات الأرض بينما ينجح غيرنا فى الفضاء وعلومه وينتقل بين الكواكب. ونستطيع فى هذا العصر أن نبدأ ولو كنا متأخرين كثيراً بأن نبث فى عقول ابنائنا وشبابنا إن أعظم خدمة للاسلام تتمثل فى النجاح فى العلم وفى تطبيقاته وهو ما يمكن أن يحفظ العالم الاسلامى ذاته أكثر مما تحفظه شعارات النظم الاجتماعية والسياسية. لقد أصبح العلم مرادفا للقوة فى هذا العصر ولم يعد معرفة مجردة ينقلها السلف للخلف، وأصبحت تطبيقات العلم أو ما يطلق عليه التكنولوچيا مصدرا للغنى والثروة وتحقيق الخير للانسان فى الزراعة والصناعة، وسوف يكون التحدى الحقيقى هو أن نتوجه «اسلاميا» نحو العلم وتطبيقاته، ويقتضى ذلك بلاشك أن يقدم التعليم فى البلاد الاسلامية على أساس اعطاء أكبر قدر من الأهمية والموارد والطاقات للبحث العلمى المنظم والاستفادة منه فى الحياة وهذا هو الفهم الصحيح لكل الآيات والأحاديث النبوية التى وردت فى فضل العلم والعلماء، وعلى ضوء هذا الفهم الصحيح قامت الحضارة الاسلامية منذ قرون عديدة وفى غيابه بدأ الضعف فى أنحاء العالم الاسلامى وعلينا أن نتحدى هذا الضعف بالقيم الاسلامية.

عصر السيطرة الفكرية :

لاشك أن العالم كله كما يقول المفكرين أصبح قرية كبيرة بفعل وسائل الاتصال والانتقال المتقدمة. واذا كانت وسائل النقل للاشخاص والأشياء فى تطورها وغيرها تجلب الخير والتطور لعلاقات التبادل التجارى بين الشعوب، فإن وسائل الاتصال بين الشعوب عن طريق الكلمة أصبحت تشكل خطورة بالغة فى هذا العصر بحيث يمكن أن نطلق عليه عصر السيطرة الفكرية. فالكلمة الآن أحد أسلحة العصر الهامة ومقروءة فى الكتاب ومسموعة عبر الهواء ومرئية أمام أعين الناس ويحتفظ الناس بها داخل الأشرطة والأجهزة التى تستعين بها أجهزة الاعلام وأجهزة الثقافة فى العالم غير الاسلامى وهى تعد لنا الغذاء الفكرى المطلوب فى الخبر، وفى الكتاب، وفى القصة، وفى الشريط السينمائى، وفى الكلمة المذاعة ولاشك أن أجهزة

الاعلام فى البلاد الاسلامية فى هذا العصر لا تستطيع الاستغناء عن كل المصادر التى تتزود فيها بما تقدمه للشعوب الاسلامية والقليل منه هو الذى يتفق مع مجتمعاتنا وبنائها المادى والفكرى والروحى. واذا بحثنا عن تأثير وسائل الاتصال غير الاسلامية فى شعوبنا لوجدنا اننا فى موقف المتأثر فقط وليس المؤثر وهذا هو المطلوب منا فى هذا العصر ولكن هل نستطيع التحدى؟ وهل نستطيع أن نأخذ الثمرة الفكرية ونرفض السيطرة الثقافية فى نفس الوقت؟ الإجابة على هذا السؤال حتى الآن بالنفى. فشعوب العالم الاسلامى تسمع أخبارها وتتلقى كثيرا من أفكارها وتتعامل فى وقت جدها ولهوها مع الفكر الوارد إليها والذى لا تشارك فى صنعه أو حتى تقديمه. وهناك خطر داهم من تقدم وسائل الاتصال المسموعة والمرئية فى المستقبل القريب حيث يقتحم الفكر الوارد عقول أبناء الأمة الاسلامية وهم فى بيوتهم دون استئذان ولا نستطيع أن نقطع هذا الاتصال الفكرى فهو سمة هذا العصر وينبغى أن نستفيد من الاتصال فهو ظاهرة ايجابية ونحن نحتاج إلى الاستفادة منه فى حياتنا المادية والثقافية، ولكننا يجب أن نتحدى السيطرة الفكرية وأثرها على الشعوب. ان الأمة الاسلامية أمه عريقة فى ثقافتها وغنية بتراثها وهى تستطيع أن تؤدى دورها الثقافى بأوسع وأكبر مما تفعل الآن، وعلينا أن نحاول نشر قيم الاسلام وثقافة الشعوب الاسلامية داخل البلاد وترسيخ هذه القيم وتحصين أبناء الأمة الاسلامية أمام الغزو الاعلامى والفكرى والاجتماعى. ولقد بدأت الأمم الاسلامية تتنبه إلى خطورة هذه المشكلة فأنشأت وكالة الانباء الاسلامية والاذاعة الاسلامية وغيرها من المؤسسات الاعلامية والثقافية الاسلامية. ان الاتصال بين الشعوب أمر هام وجوهرى ينقلب إلى أمر خطير اذا ظلت الأمة الاسلامية تستقبل فقط دون أن ترسل، لأن أجهزة الاعلام الآن تشكل فكر الجماهير ومجموعات البشر. ولا شك اننا نحرص على التزود بالعلم والثقافة الرفيعة من أى مصدر، وذلك توجيه اسلامى لا شك فيه، ولكن كل ما يرد الينا ليس فى هذه الصورة التى ننتظرها ونحرص عليها فالكلمة الآن قد تكون مسمومة والفكرة قد تكون خادعة ولا نريد أن تفقد الشعوب الاسلامية هويتها وقيمها المتوازنة اذا خلا الميدان للكلمة الواردة والفكرة المستوردة.

إن واجب اجهزة الاعلام فى البلاد الاسلامية أن تبدأ فى تأكيد الهوية الاسلامية لشعوبها وفى ترسيخ قيم الاسلام الحضارية بين أبنائها وأن تحاول اختيار الأصلح والأنفع مما يرد إليها لاذاعته أو عرضه على الناس. وعلى أجهزة الاعلام فى البلاد الاسلامية أن تتعاون فيما بينها وأن تتبادل موادها فيما بينها حتى يتعرف المسلمون على بعضهم على اختلاف البلاد واللغات والأعراف والعادات، فكل هذه البلاد ولا شك يجمعها اطار واحد لأن فكرها وثقافتها عبر القرون قد اكتسبت الطابع الاسلامى. ومن المصلحة أن نتصدى معا لتلك السيطرة الاعلامية التى تؤثر فينا جيلا بعد جيل بحيث استطاعت أن تنقلنا بعيدا عن القيم الاسلامية الأصيلة التى كانت تتميز بها شعوبنا منذ عشرات السنين. والتحدى الحقيقى لهذه السيطرة يبدأ من بذل أقصى الجهد لإحياء الفكر الاسلامى واجادة عرضه فى كل الصور الأدبية والفنية واتخاذ كافة الوسائل لنشره واذاعته فالذى يتلقى من الخارج ويتأثر بما يتلقاه من الخارج يكف عن ذلك إلا إذا سمعت اذناه الأفضل ورأت عيناه الأجمل والتقط فكره الأحسن.

تجديد المقاصد فى الثقافة الإسلامية

الاستاذ الدكتور/محمد السعيد جمال الدين

منذ نحو ربع قرن من الزمان نشر الأستاذ نجيب محفوظ كاتب العربية الكبير، قصته الرائعه «الشحاذ»، ولكم لفتت هذه القصة فى ذلك الوقت من ربيع سنة ١٩٦٣م نظرى وشدت انتباهى لدلالتها البالغة ومعانيها العميقة. كان الأستاذ نجيب محفوظ ينشر هذه القصة فى فصول أسبوعيه بجريدة الأهرام القاهرية، وكان لهذا التتابع فى فصول القصة أعمق الأثر فى نفسى. والقصة تتناول شخصيه محام كبير يعيش فى القاهرة فى آواخر الخمسينيات، ذائع الصيت، رفيع المكانة، تنتابه حالة من الضيق والتبرم والملل وتودى به فى النهاية إلى وهدة لا قرار لها. وهاوية سحيقة من الضياع. ويحاول أهله وعشيرته أن يتعرفوا على أسباب هذه الحالة التى ألمت به فجأة، فلا يجدوا لها تعليلاً، ولا يعثروا لها على تفسير. غير أن الحقيقة تتكشف فجأة عندما يتبين فى النهاية أن هذا الرجل، كان قبل الثورة من أبطال الحركة الوطنية فى مصر، وكان قد وضع نصب عينيه أن يبذل كل ما وسعه الجهد فى تحقيق الاستقلال للبلاد وطرد المستعمر الغاصب، وحدد هذا الهدف وجعله مقصداً شريفاً، ومثلاً كاملاً ينبغى أن يوقف حياته على تحقيقه. وتركزت كل همته وحشد كل عزمه على أن يعمل مع غيره من أبناء الوطن لطرد المستعمر من البلاد، فلقد كان هذا منتهى أمله وغاية الغايات عنده. وقامت ثورة ١٩٥٢م، وجرت المفاوضات مع الحكومة البريطانية وتحقق الجلاء، ثم قامت حرب ١٩٥٦م، وطرد المستعمرون مرة أخرى، وخلصت مصر للمصريين، وأصبحت حرة عزيزة الجانب مسموعة الكلمة فى الأوساط الدولية.

فلما تحقق مقصد الرجل وأصبحت الغاية التى كان يحلم بها ويسعى إليها حقيقة واقعة. انتابه اليأس من الحياة، فلم يعد له بعد هذه الغاية التى تحققت غايةٌ أخرى، فما جدوى الحياة بعد تحقق المقصد؟ وما قيمة الحياة دون أن يكون للإنسان مقصد شريف يحشد همته لبلوغه؟

هذه المشاعر جعلت الرجل يتخبط فى حياته إلى أن انتهى به الأمر إلى الضياع الكامل، ثم إلى العزلة عن الناس، ثم إلى الموت فى النهاية.

لقد أقضّت هذه القصة مضجعى وأرقت بالى، وحاولت الاتصال بالأستاذ نجيب محفوظ ــ عن طريق أحد أقاربه وكان يعمل معنا ــ لكى أعرب عن استنكارى لهذه النهاية المفجعة التى ما كان يستحقها الرجل، الذى خدم بلده، وشارك فى حركتها الوطنية، وكان علماً من أعلام المحاماة والثقافة فيها.

قيض الله ــ تعالى ــ لى أن أطلع على آراء رواد حركة الإصلاح فى العالم الاسلامى كالسيد جمال الدين الأفغانى ولكننى بعد أن أنعمت النظر فى الأمر تبين لى أن الرجل فى الواقع يمثل نموذجاً من الناس موجود بيننا، وأن هناك كثير من مثله يعيشون بين ظهرانينا، وأنه كان يستحق ما وقع له لأنه إنما غفل عن مبدأ من أهم مبادىء الثقافة الاسلامية، وهو مبدأ تجديد المقاصد، وتخليقها. وهو المبدأ الذى أخصّه اليوم بهذا البحث الموجز.

إن حالة هذا الرجل شائعة بين الناس من أفراد هذه الأمة منذ زمن بعيد، ربما عقب الغزو المغولى المدمر فى أوائل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى). عندما تأصل فى نفوس الناس شعور بالضّعة والذّله، وبأفضلية الأمم الأخرى عليها فى الأخذ بأسباب الرقى والتقدم، وفى دفع الحياة إلى الأمام، فأنكرت الأمة ذاتها ودب الوهن فى نفوس أفرادها، وتخلّت عن الإمساك بزمام القيادة فى العالم، وبدأت تساير الزمان، وتتماشى مع الأيام، وتتحاشى الدخول فى معترك الحياة، لا تضطرم فى نفوس أفرادها إرادة لتحقيق مقصد شريف، أو غاية سامية فشاع بينهم الإستسلام للقدرية والجبرية، وبأن «ما هو مكتوب على الجبين لازم تشوفه العين».

وجاء رواد الإصلاح فى العصر الحديث، فتساءلوا بينهم وبين أنفسهم، لماذا لا تثور الهمم إذا استثيرت؟ ولماذا لا تجد الدعوة إلى العزة والكرامة والشرف والسؤدد صدى فى نفوس السواد الأعظم من الناس؟ إن هذا شئ مخالف للفطرة الانسانية، ومجاف لنوازع الكرامة التى ينبغى أن تظل حية فى نفس الإنسان.

والحق أن السيد جمال الدين الأفغانى أول من تنبه إلى أن غياب المقاصد الشريفة والغايات السامية من نفوس الناس هو الذى يؤدى إلى هذه الحالة العجيبة من الاستسلام والخضوع. وقال فى مقال له فى مجلة العروة الوثقى:

«عجباً كيف تتبدل أحكامُ الجبلة، وكيف يمّحى أثر الفطرة؟ كيف تسفُل النفس حتى لا تطلب رفعة؟ وكيف تقنط حتى لا يكون لها أمل؟!» (١)

ولقد أطلق السيد جمال الدين على هذه المقاصد أسم «الأمل» وأسهب فى وصفه باعتباره باعثاً شريفاً ينبثق فى نفس الإنسان، ويسهّل له كل صعب، ويقّرب له كل بعيد، ويهون عليه المشاق والمتاعب، ويجعله يبذل عن رضا وطواعية الروح والمال فداء وبذلا.

ولكن الآمال والمقاصد الشريفة شئ، والرغبات النفسية والحسية شىء آخر. ولابد من المعاناة والتعب فى تحصيل المقاصد، يقول الأفغانى:

«إنما الأمل رجاء يتبعه عمل، ويصحبه حمل النفس على المكاره وعرك لها فى المشاق والمتاعب.. حتى يرسخ فى مداركها أن الحياة لغو إذا لم تغذ بنيل الأرب» (٢)

والمقاصد التى تبدو فى ظاهرها مادية (بمعنى أنها تتحقق فى عالم المادة والحس) هى فى جوهرها نفسية. اذ يرى الأفغانى أن الناس قد غاب عنهم

---

(١) العروة الوثقى، ١: ١٢٤.

(٢) العروة ١: ١٢٢.

فى انشغالهم بأمور المعيشة وتقويمها أن غاياتهم متجهة فى كل أعمالهم إلى طلب الكرامة وعلو المقام وتحصيل الشرف. فكل هذا العمل الدؤوب والسعى المثابر الذى تراه هناك إنما هو لتحصيل الرفعة وعلوّ المقام ليس إلا. فكل واحد من أفراد الأمة يظل «ينافس أهل طبقته، ويأنف من ضعته منهم، ويحرص على ما يحلّه من قلوبهم محل الاعتبار» حتى إذا بلغ الغاية [وحقق الرفعة عندهم]. تخطى حدود تلك الطبقة، ودخل فى طبقة أخرى، ونافس أهلها فى الجاه، ولا يزال يُتْبِع سيره مادام حياً يخطر فى الأرض (١).

ومن ثم، تظل هذه المقاصد متجددة مستمرة مادام الإنسان حياً لأن الكمال الإنسانى، لا تحده حدود، وليست له نهاية، ولا يستطيع أحد من الناس أن يقنع نفسه، ويعتقد أنه بلغ من الكمال حدا ليست بعده غاية (٢).

ويصدق على الأمة كلّها ما يصدق على الفرد، فمقاصد الأمة وغاياتها منصرفة أيضا إلى طلب الرفعة والمكانة والسؤدد. شأنها فى ذلك شأن الآحاد والأفراد، فكل أمة إنما تبتغى رفعة المكانة فى نفوس غيرها من الأمم، لأن ذلك ــ كما يشير الأفغانى ــ أمر فطرى جبل الله عليه طبيعة هذا النوع منفرداً ومجتمعاً (٣).

والمقاصد الشريفة التى يسعى الإنسان إلى تحصيلها، ويجهد فى سبيل تحقيقها لابد أن يكون من ورائها باعث قوىّ، هذا الباعث فى رأى الأفغانى ــ هو حب المحمدة الحقة، وحسن الذكر من وجوه الحق لا من وجوه الباطل. فالمحمدة ــ عند الأفغانى هى الغذاء الروحانى والمقوّم النفسانى، وهى الباعث على المقاصد الشريفة العالية، والدافع إلى تحقيق المثل الكاملة.

---

(١) العروة ٢: ١٢٠، ١٢١.
(٢) انظر، العروة أيضاً.
(٣) انظر، العروة.

ويصبح من حق من ينجح فى تحقيق مقصد من المقاصد، أن يحمده الناس، ويشيدوا بهمته وسعيه، خاصة إذا كان قد توجه بهذه الهمة وهذا السعى إلى تحقيق مقصد من مقاصد الأمة. فمن حق القاصد على أمته أن تحمده، ولكن الأمة إذا جحدت حق العامل لها أو قصرت فى استحسان عمله، ضعفت الهمم، وقل السعى فى المصالح العامة، وانقبضت الأيدى عن تعاطيها، فهبطت شئون الأمة، وافترقت وماتت... لأن الأمة إذا لم تقدر أعمال العاملين حق قدرها، ولم تعرف معروفا، ولم تنكر منكراً، سلبت آحادها الميل إلى المعالى، والكمالات، وكان هذا أشد نكاية بها من جوْر الظالمين، وتغلّب الغالبين (١).

فلابد إذن من مكافأة يتلقاها القاصد لإنجاحه مساعى الأمة لتحقيق غاياتها، فإذا كان الشعب سيقابل هذا الإحسان بالاعتراف بالجميل تشجع ذوو الهمم للحصول على هذه المكافأة، المتمثلة فى محمدة الناس لهم وإشادتهم بعملهم، فيسعون لتخليص الأمة وإنقاذها. ولكن فقد هذا الإحساس الشريف بين أفراد الشعب ونكرانهم لجميل القاصد وجحدهم له يعرض الأمة كلها للشيخوخة، ثم الموت والهلاك.

هذا مجمل لآراء السيد جمال الدين الأفغانى فى المقاصد. ولا يسعنا الوقت لعرض آراء المصلحين والمفكرين الآخرين فى هذا الموضوع، فلكل من محمد إقبال، وأبى الأعلى المودودى، وأبى الحسن الندوى وسيد حسين نصر آراء لها وزنها فى هذا الموضوع. ولكنى أود أن أشير إشارة عابرة إلى الفصل الذى عقده إقبال فى منظومته أسرار خودى أى أسرار الذات الإنسانية والتى نشرها فى سنة ١٩١٥ بعنوان «فى بيان أن الذات الإنسانية لا تحيا إلا بتخليق المقاصد وتوليدها».

وقد أوضح إقبال أن دعم ذات الإنسان لا يتأتى إلا بتجديد المقاصد، وهو يحاول من خلال هذا الفصل أن يرد على دعاة ترك الدنيا، واماتة كل إرادة فى النفس. فلقد نادى بعض الصوفية بإفراغ النفس من كل رغبة أو

---

(١) العروة ١: ١٣٦.

إرادة. لأن اللذة التى يحصلها الإنسان بتحقيق رغباته النفسية، إنما هى لذة فانية. أما التى تتحقق بترك الرغبة فتكون لذة دائمة لا زوال لها.

ولا شأن لإقبال بالطبع بالشهوة الحسية، أو ما يسميه القرآن الكريم بالهوى: فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى.

أما ما يعنيه إقبال فهى المقاصد الطاهرة العالية، التى يقوم بها نظام العالم، وبها تنمو الذات الإنسانية، وتتسع الفضائل(١) وهى المقاصد الشريفة التى يحض عليها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله: إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفاسفها.

وقد بين إقبال فى هذا الفصل الخاص بتخليق المقاصد وتوليدها. أن الإرادة التى تنبثق فى نفس الإنسان، هى الحياة نفسها، وهى الدليل على تميز الإنسان وأفضليته على سائر الأنواع. ولكن هذه الإرادة تموت إذا كفت عن تخليق المقاصد وابتكار المثل.

وختم إقبال هذا الفصل ببيت جامع قال فيه:

ماز تخليق مقاصد زنده إيم از شعاع آرزو تابنده إيم.

انما نحيا بتخليق المقاصد، إنما نتألق بشعاع الإرادة. وقد عاد إقبال وبسط القول بأسلوب فلسفى فى هذا الموضوع فى كتابه «تجديد التفكير الدينى فى الإسلام» الذى نشره سنة ١٩٢٨ وذلك حينما تعرض بالنقد لآراء الفلاسفة الأوربيين المحدثين(٢) من أمثال ديكارت، وبرجسون، وبرتراندراسل، وهوايتهيد فى قضية التجربة الشعورية واننا إذا نظرنا إلى تجربتنا الشعورية وجدنا أن الحياة هى تكييف المقاصد والغايات وتحويرها، كذلك الخضوع لسيطرتها. وقد أوضح أن المقاصد تؤلف فى الواقع دفعة الحياة إلى الأمام، ومن ثم نؤثر بشكل ما فى صنع المستقبل.

---

(١) أنظر السيد عبد السلام الندوى، إقبال كامل، ص ٣٧٥ـ ٣٧٧، أعظم گره، ١٩٦٤.

(٢) انظر: محمد إقبال تجديد التفكير الدينى فى الإسلام، ترجمة عباس محمود، ص ٣٦ وما بعدها، طبع مصر ١٩٥٥م.

ولن أستطيع أن أترك هذا المقام دون أن أقرأ على حضراتكم ترجمة أبيات من مثنوى مولانا جلال الدين الرومى تبين أن الحياة الإنسانية، وإن كانت تطوراً متقدماً لحيوات سابقة، بدأت بالجمادية ثم النباتية، ثم الحيوانية ثم الإنسانية، إلا أن هذه الحياة ليست بدورها إلا معبراً لحياة أخرى أرقى وأعلى منها. وأن الإنسان ينبغى أن يتطلع دائما إلى الكمالات والمقاصد الشريفة، ولا يقنع بالإخلاد إلى الأرض وجذب التراب.

يقول مولانا الرومى، متحدثا باسم الإنسان:

عشت تحت الثرى فى عوالم من ىبر وحجر

ثم ابتسمت فى ثغور زهرات عديدة الألوان

ثم جبت مع الوحش والحيوان المتنقل فوق ظهر البسيطة

وعلى متن الهواء وفى مناطق المحيط.

وفى ميلاد جديد غطست فى الماء، وحلقت فى الهواء

وحبوت على بطنى، وعدوت على قدمى، وتشكل سر وجودى كله، فى صورة أظهرت كل ذلك للعيان فإذا أنا إنسان.

ثم أصبح هدفى أن أكون فى صورة ملاك فى ملكوت وراء السحاب وراء السماء، حيث لا يمكن لأحد أن يتبدل أو يموت. ثم أعدو بعيدا وراء حدود الليل والنهار، والحياة والموت.

الدين والسياسة فى تركيا الحديثة والمعاصرة

بقلم الدكتور/الصفصافى أحمد المرسى
كلية الآداب ــ جامعة عين شمس

السمة الدينية للدولة العثمانية:

لقد كانت السمة الدينية هى التى سيطرت على كل تشريعات الدولة العثمانية ومعظم تصرفاتها، وقد كانت الهيئة الإسلامية ذات وضع خاص بها ومعترف به ولها مركزها المرموق..

كان يطلق على رئيس الهيئة الاسلامية فى بادىء الأمر لقب «المفتى» أو مفتى استانبول، ثم تغير اللقب إلى «شيخ الاسلام» الذى كان يشرف على الهيئات القضائية، والهيئات ذات الطابع والنشاط الدينى، وكان السلاطين أنفسهم حريصين على تدعيم سلطته، ويعملون على استغلالها كلما حز بهم أمر أو قدموا على عمل خطير، فقد كان المفتى هو الذى يصدر فتوى تجيز الحرب دفاعاً أو هجوماً أو عقد الصلح، وغير ذلك من الأحداث الجسام.

وكانت الدولة العثمانية تهتم إهتماماً بالغاً بنشر التعبئة الروحية بين أفراد القوات المسلحة وإثارة عاطفتهم وحميتهم الدينية وصولاً إلى «تسخين» الجنود قبل خوض المعارك(١).

ولقد اعتمد العثمانيون المذهب الحنفى مذهباً رسمياً للدولة، ولعب المفتون فى استانبول، وفى مراكز الولايات، دوراً هاماً فى مختلف المجالات

---

(١) أ.د. محمد عبد العزيز الشناوى، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ج ١ القاهرة، ١٩٨٠م ص ٥٤.

وكانت الأولوية فى بدء الدولة العثمانية للقاضيعسكر(١) الذى كان يرافق الجيش المحارب، ثم أصبح المفتى رئيساً للعلماء، وكان تلقبه بشيخ الاسلام مبنياً على الدور الذى لعبه فى التوفيق بين القوانين التى يصدرها السلطان وبين الشريعة. بل كان يحق لمفتى استانبول أن يصدر فتوى بعزل السلطان نفسه، كما أنه هو الذى يعين المفتين فى مراكز الولايات. أما المذاهب الأخرى فقد تركت الدولة لأفرادها حق أختيار مفتيها من بينهم (٢).

وكانت الأولوية بين القضاة للقاضى الحنفى، الذى كان يعين أيضاً فى مراكز الولايات العربية من قبل قاضيعسكر الأناضول فى استانبول... ومنذ بداية القرن السابع عشر بدىء فى تعيينه من بين المحليين.. وكان قاضى دمشق من أبرز قضاة بلاد الشام. واعتبر فى مستوى قاضى مصر على اعتبار أن المدينتين كانتا عاصمتين سابقتين للخلافة. ولُقِّب بلقب قاضى القضاة. وأحياناً بلقب «ملا» أو «منلا» وأقام قاضى القضاة فى المحكمة الرئيسية وله نواب يصرفون شؤون القضاة فى المحاكم الفرعية.

وكان هناك منصب نقيب الأشراف (٣) فى مركز الولاية، ويعين من قبل نقيب الأشراف فى استانبول.. ويشرف على شؤون الأشراف المختلفة.

لقد وضح الطابع الدينى فى التطبيق الصارم للشريعة الإسلامية، والنص فى قوانين الدولة منذ عهد السلطان سليمان القانونى (١٤٩٥ــ ١٥٦٦م =٩٠١ــ ٩٧٤هـ) على أنها تتفق مع الشريعة الاسلامية كما وضح أيضاً فى المحافظة على التقاليد الدينية. واقرار عقوبات التجريس أو التشهير فى حق من يرتكب جريمة الافطار فى رمضان أو ترك الصلاة، بل وصل الأمر إلى حد الزج بالمخالف فى الترسيم أى فى الأعتقال (٤).

---

(١) د. الصفصافى أحمد المرسى، الولايات العربية والدولة العثمانية، الدارة، العدد الرابع، السنة الثامنة ــ رجب سنة ١٤٠٣ هـ/ إبريل سنة ١٩٨٣ م هامش ٧.

(٢) د. عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، دمشق، ١٩٧٤، ص٥٢.

(٣) الولايات العربية والدولة العثمانية، مرجع سبق ذكره، هامش رقم ٩.

(٤) الدولة العثمانية، دولة إسلامية، مرجع سبق ذكره، ص٥٧.

كما أشرفت الدولة إشرافاً فعلياً على الحج واعتبرت ذلك واجباً يقع على عاتقها بإعتباره الركن الخامس للإسلام (١). وأولت الطرق الصوفية وأربابها أهمية بالغة وأمدتهم بالعون المادى، وألحقتهم بالجيش، بل إنتسب السلاطين إلى الطرق الصوفية وكان كل منهم حريصاً على ذلك الأنتساب، وضجت الولايات سواء فى الأناضول أو البلقان أو الجزيرة أو شمال أفريقية بالطرق الصوفية كالنقشبندية والمولوية والبكداشية والرفاعية أو الأحمدية والخلوتية وغيرها من الطرق الصوفية (٢).

كما أخذت الدولة بنظام الفتوة الذى يعد الطابع الاسلامى للفروسية العربية، والذى ورثته عند قيامها فى الأناضول (٣) كما كان الاهتمام الكبير بالحجاز من السمات التى حافظ عليها كل السلاطين العثمانين، فأعفته من الضرائب والتجنيد (٤) وتركت له الحكم الذاتى المتمثل فى الشرافة، وخلقت حوله نوعاً من أسوار الأمن التى أمتدت من باب المندب جنوباً والسويس شمالاً. وعادت البرتغال والصفويين لذات الغرض (٥).

ظلت هذه السمات هى السائدة فى الدولة العثمانية حتى أوصلتها إلى قمة مجدها وضمنت هذه السمات القوة للدولة والرفاهية للشعب. وظلت كذلك حتى تجمعت عوامل عديدة أدت إلى إنهيار الدولة وضعفها وأبعدتها عن الشريعة وأحكامها.

---

(١) وثيقة رقم ٣٧٣٨، الأرشيف التركى، دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض.

(٢) أ.د. محمد فؤاد كوبريلى، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أ.د. أحمد السعيد سليمان، القاهرة، ص١٦٨.

(٣) ابن بطوطة، «تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٨ جـ١، ١٥٦ ـ ١٦٦.

(٤) الدولة العثمانية والولايات العربية، مرجع سبق ذكره.

0. Cengiz Orhunlu. Osmanli Imparator Lugunun Guney Siyaseti, Istanbul, 1974, Giris.

الاتصال بالحضارة الغربية وبزوغ نجم الأتحاد والترقى:

عندما أصاب الدولة الوهن والضعف وألم بشعبها الفقر والفاقه وألمت بها عوامل الإنهيار بدأت المرحلة الثانية فى العلاقة بين الدين والسياسة فى الدولة. ألا وهى مرحلة دخول الدولة إلى عالم الاصلاحات وربطها بالقوانين الوضعية. وأهم ما يميز هذه الفترة بقوانينها الاصلاحية هو ضمان المساواة بين المواطنين بصرف النظر عن دينهم، وتأمين المواطن على حياته وماله وعرضه بصرف النظر عن عرقه أو جنسه. وربطت الضرائب بنظام معين ونظمت الخدمة العسكرية، وتعهد السلاطين بإحترام ما يصدرونه من قوانين وفرمانات.

وأدى توالى البعثات إلى فرنسا خاصة وأوروبا عامة، واشتداد الرغبة فى الإتصال بالغرب والأخذ عن حضارته إلى ظهور ما يمكن أن نسميه «بالمعارضة المنظمة» التى تمثلت فى «العثمانين الجدد» «كنج عثمانليلر» وكتاباتهم فى الصحف والمجلات التى كانوا يصدرونها.

وشهد الصراع ذروته فى هذه الفترة بصدور الدستور الذى سمى آنذاك «بالقانون الأساسى» والذى استوحى من الدستور البلجيكى وذلك عام ١٨٧٧م = ١٢٩٤هـ فأصبح الدستور البلجيكى المعدل دستوراً للدولة الاسلامية العثمانية بعد أن كان الاسلام هو دستور الدولة، وقد نص هذا الدستور على إقامة مجلسين هما «المبعوثان» و «الأعيان» ويتمتع اعضاؤهما بالحصانة، وتألفت السلطة التشريعية من المجلسين ونص على تشكيل محكمة عليا، وأن يكون مبدأ اللامركزية هو الطريقة التى تتبع فى الحكم (١).

ولكن الحرب الروسية العثمانية التى اندلعت وأنتهت بهدنة ٣١ يناير سنة ١٨٧٨م = ١٢٩٥هـ سهلت مهمة السلطان فى فض المجلس وعودة النواب إلى دوائرهم. ولم يعودوا إلى الإجتماع مرة أخرى، إلا بعد أن إشتد عود «جماعة الإتحاد والترقى» التى كانت تنمو فى الوقت الذى كان السلطان عبد الحميد الثانى يمارس دوره فى إعداد الجيش العثمانى ويبطش بمن يدعو

---

(١) د. على الحسون، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، دمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٧١.

إلى الاعتماد على الغرب أو ترك الاسلام ويعمل على تدعيم مركز الخلافة وتقوية الجامعة الاسلامية.

وضع الماسونيون أيديهم فى أيدى الاتحاديين فى إنشاء فروع للجمعية خارج نطاق الامبراطورية، وتبنوا سياسة المركزية والاقتصاد القومى الموجه ولم يمض زمن طويل حتى اندمجت فيها «جمعية الحرية العثمانية» سنة ١٩٠٦م = ١٣٢٤هـ فى سلانيك. وبدأت جمعية الإتحاد والترقى فى إصدار مجلة «La Jeune Turquie» أى «تركيا الفتاة». وبعد أن انضم إليهم أحمد رضا (١٨٥٩ــ ١٩٣٠م) مدير التعليم فى بورصة، بدأت فى إصدار مجلة «مشورت» متخذين من مبدأ الشورى فى الإسلام ديدنهم السياسى لجذب أكبر قدر ممكن من قطاعات المجتمع.

وكان لانضمام الأمير صباح الدين وأخيه لطف الله إلى الجماعة ضربة جديدة موجهة إلى السلطة الشرعية فى البلاد ورفعت من شأن الاتحاديين فى أعين المواطنين.

واعتباراً من ١٩٠٦م = ١٣٢٤هـ بدأت مجموعات من الضباط فى الإنضمام إلى جمعية الإتحاد والترقى أمثال جمال باشا، وفتحى بك ومصطفى كمال.

وفى باريس عقد مؤتمر ضم كل الجمعيات المناهضة للسلطة برئاسة الامير صباح الدين وصدر عن المؤتمر قراراً بتأييد حقوق السلطنة والخلافة ووافق على هذا القرار كل من الليبراليين والقوميين على حد سواء وأن الذى أعد مسودة هذا القرار هو أحمد رضا (١).

وانتقل مركز الحركة إلى تركيا والبلقان بدلا من بلاد المنفى، وأحسن ضباط سلانيك استخدام نوادى الماسونية الموجودة فى تركيا والهيئة الموجودة فى باريس بصرف النظر عن الفكر العقائدى لكلا التشكيلين.. ورويداً

1. Tunaya, Tarik Ziya, Türkiyé de Siyâsi partiler, 1859 - 1952. Ist. 1952, S. 108.

رويداً أصبح الضباط مستعدين للعمل مباشرة ضد النظام والسلطان الذى لم يعد قادراً على الدفاع عن الامبراطورية.

ولم تحن سنة ١٩٠٨م = ١٣٢٦هـ إلا وأن وجدت جمعية «الإتحاد والترقى» نفسها مسئولة عن ادارة البلاد والتعامل مع السياسة عن قرب بل ويرأس أحد أعضائها وهو سعيد باشا الحكومة. وأغلقت بعد ٣١ مارس سنة ١٩٠٩م أحزاب الأحرار والإتحاد المحمدى وفدائيون الأمة وحزب الهيئة المثقفة العثمانية والتى كانت جميعها تجعل من الدين الإسلامى أساس برامجها السياسية.

وبعد يناير سنة ١٩١٣م = ١٣٣٢هـ اجتمعت الهيئة العامة للاتحاد والترقى وقررت تحويلها من جمعية سرية إلى حزب سياسى استطاع أن يحتفظ بالسلطة إلى سنة ١٩١٨م = ١٣٣٧هـ، لقد كان العامل المشترك بين كل الأحزاب والجماعات المعارضة هو البحث عن مخلص ومخرج للأمبراطورية العثمانية من تخلفها والحيلولة دون إنهيارها، وتبوؤها مكانها اللائق بين دول العالم.

وبالرغم من التقارب الفكرى بين المحافظين والإسلاميين إلا أنهم من ناحية التجديد قد إنقسموا إلى تيارين رئيسيين، تيار التغريب وتيار التريك، فبالنسبة للإسلاميين الذين يأتى على رأسهم الأمير سعيد حليم (١٨٦٣ـ ١٩٢١م) فإن سبب تخلف الدولة العثمانية هو بعدها عن الإسلام، ولكى تعود إلى سابق عهدها فعليها أن تعود إلى الشريعة الإسلامية التى لا تمانع فى أن تأخذ عن الغرب تقنينه الحديثة وأن تنفتح عليه دون أن تفقد هويتها الإسلامية، وبهذا، كان يعارض ويخالف التيار الآخر. وألفت هذه الجماعات حزب «الإتحاد المحمدى» (١).

أما تيار التغريب الذى يأتى فى مقدمة أفراده عبدالله جودت وجلال نورى وسليمان نظيف، وكانوا جميعاً متفقون على ضرورة التجديد ولكنهم

1- Turkiyé de Islâmcilik Dusuncesi, Metinler/Kişiler Cilt I Hazirlayan, Ismail Kara, Ist, 1986, S 73 - 174.

مختلفون فيما بينهم فى مسألة الدين ودرجة الأخذ عن الغرب (١) فالمستغربون يدعون بضرورة الأخذ عن الغرب فى كل مناحى الحياة حتى يمكن الوصول إلى مستوى تطوره واكتساب إحترامه، وأن الإصلاحات التى تمت ــ بالرغم من أنها لم تأت إلا بنتائج محددة ــ إلا أنهم كانوا يؤمنون بضرورة الاستمرار فى التجديد، بل وفى الإسراع نحو هذا الإتجاه. ويجب على الأتراك أن يضفوا على الأمبراطورية نمطاً جديداً من التنظيم يتفق مع تلك الأهداف التى تتعارض تماماً مع فلسفة التتريك، وكان التعليم وتثقيف الشعب هما الركيزتان الأساسيتان لهذا التيار. وإذا كان تيار التتريك يدعو إلى الطورانية فإن تيار التغريب كان يدعو إلى العرفان والمعرفة وتحديد الزيجات بزوجة واحدة والمحاكم المدنية بدلاً من تعدد الزوجات والمحاكم الشرعية وضرورة الأخذ بالحروف اللاتينية بدلاً من العربية. وقفل التكايا والزوايا والقضاء على الفكر الصوفى التوكلى.

أما التيار الثالث نمى وتطور فى عهد تركيا الفتاة، فقد كان التيار القومى الذى نظر إلى فكر التحديث والتجديد بنظرة جديدة، ويدعو إلى الوحدة الثقافية فى الميدان السياسى، وعبر عن نفسه فى بادىء الأمر عن طريق الأدب والتاريخ، وحمل فى بداية أمره مفهوماً ثقافياً بحتاً (٢).

ويمكن تقسيم التيار القومى فى عهد الإتحاد والترقى إلى عدة مراحل:

ا ــ سنوات التحالف (١٨٨٩ ــ ١٩٠٨م = ١٣٠٧ ــ ١٣٢٦هـ) والتى لم تبدوا فيها موقفاً سافراً، أما المرحلة الثانية فيما بين (١٩٠٨ ــ ١٩١٣م = ١٣٢٦ ــ ١٣٣٢هـ) فقد اتسمت السياسة بسمة قومية أوضح وأعادوا صياغة سيرتهم السياسية على أساس سيطرة العنصر التركى فقط على الإدارة ومركزية الحكم ولم يتورعوا عن استخدام العنف مما آثار الأقليات والجنسيات الأخرى، وخطوة خطوة بدأ الإتحاديون يتشبثون بالفكر الطورانى والعلمانى مما

1- T.T. Z., Turkiye de Siyasi, partilari, S., 167 - 171.
2- Ziya Gökalp, Türkluy'un esasiavi, Ist. 1955, S., 5 - 6.

أفسح المجال على مصراعيه لظهور الفكر القومى العربى الذى أخذ موقفاً مؤيداً للإنجليز فى الحرب العالمية الأولى، وأصبح العرب والترك ــ بالرغم من أنهم نظرياً يشكلون تكتلاً إسلامياً واحداً ويعيشون تحت لواء الخلافة والاسلامية ــ يحاربون بعضهم بعضاً (١) وظهر للعيان أن القومية أقوى من الدين، وأن الفكر الإسلامى فى تركيا قد بدأ يخبو بشكل فعلى منذ حرب البلقان ١٩١٣م = ١٣٣٢هـ.

وما أن سيطر القوميون على إدارة الدولة حتى اتضحت سمات التجديد والتغريب أكثر من ذى قبل وأصبح الفكر العلمانى هو السياسة الرئيسية فى الدولة، وخلال سنة ١٩١٦ــ ١٩١٨م = ١٣٢٥ــ ١٣٢٧هـ فرض الإتحاديون أنفسهم وقضت الحرب العالمية الأولى على الفكر الإسلامى كقوة سياسية.

إعلان الجمهورية وفرض العلمانية:

ولما أعلنت الجمهورية، كانت العلمانية والفكر العلمانى أحد الأسس والمبادىء الرئيسية التى أقرتها. وأظهرت هذا الفكر على أنه ضرورة ملحة سواء للإصلاح أو تحديث الدولة والإتجاه بها نحو الغرب، وما أن حلت سنة ١٩٣٧م = ١٣٥٦هـ حتى أقرها الدستور ولم يعد من حق أى تيار سياسى أن يناقش هذا المبدأ وإلا وقع تحت طائلة القانون. وسعت حكومة الجمهورية أن تخلص المجتمع ــ على حد تصورها ــ من سيطرة الإسلام وإلى خلق نمط جديد من المواطنين يكون الفكر العلمى والعقلانى وسيلتهم فى خلق المجتمع الجديد.

لقد هدفت تركيا بالعلمانية أن تتخطى القومية إلى نطاق أرحب وأن تكون محايدة تجاه الدين فى محاولتها لخلق دولة معاصرة حديثة. تناسب النمط الجديد من المواطنين.

ولتحقيق ما هدفت إليه جعلت الحكومة لب سياستها الدينية عدم تحليل

1- George Antonius, The Arab Awakaning, London, 1939. p. 106.

العبادة أمام سائر الأديان وفى نفس الوقت لم تجبر المجتمع على معتقدات معينة.. ورغم ذلك، رويداً رويداً، بدأت توصف أو توصم «باللادينية» رسمياً. ولقد تأثر بذلك المثقفون أكثر من غيرهم، حيث كانوا آنذاك أكثر استعداداً لتقبل العلمانية وفى مقابلهم، كان القرويون وسكان القصبات والمدن الصغيرة ــ وبشكل عام ــ محافظين على معتقداتهم الدينية وعنعناتهم الإسلامية الأصيلة. ومن هنا كانت الأهداف الثقافية للعلمانية سطحية التنفيذ، ولم يستطع المجتمع أن يقبل الفكر العقلانى أى العلمى خاصة فيما يتصل بالعقيدة، بل استمر فى انتهاج فكر يمكن أن يوصف بأنه مضاد للعقلانية وعلمية العلمانية (١)، وهذا ما أدى بدوره إلى تضاد الجبهتين بل تصارعهما ودفع بالحكومة أن تضع النشاط الدينى تحت المراقبة مما جعل الإصلاحات الدينية لم تنبع عن اقتناع من القائمين عليها بل بقوة القانون وسطوته.

ورغم النجاح المحدود الذى حققته العلمانية فى الميدان الثقافى، فإن نجاحها فى الميدان السياسى ظل محدوداً وبدى أكثر وضوحاً فى الميادين الأخرى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وذلك لأن الحكومة قد نجحت فى أن تشد إنتباه المواطنين إلى موضوعات أكثر إلحاحاً من العامل الدينى آنذاك بالأضافة إلى أن الكثيرين من الأفراد والجماعات قد بنت تطور وإزدهار منافعها على أسس العلمانية.

ويمكن أن نضيف أن الفعاليات الإقتصادية، ومجانية التعليم التى سمحت بظهور طبقة جديدة أدت إلى إختراق المجتمع القروى، وتضاؤل الدعوة الدينية ونمت الطبقة المثقفة رويداً رويداً، كل هذه العوامل أدت إلى استقرار العلمانية إلى حد ما داخل المجتمع التركى خلال تلك الحقبة التاريخية ومن هنا مال الصراع لصالح السياسة ورغم هذا فقد اتخذ الكماليون من الإسلام أمراً حتمياً فى المعاملة، بل لقد كان هو السلاح الذى له الغلبة فى النضال

1- Bulent Ecevit, Sözde Kalan Bir Devrim, Form, Kasim 1, 1965, S., 27 - 28.

الدائر بينهم من ناحية وقوات السلطان من ناحية أخرى فى بادىء الأمر ثم بينهم وبين الأقليات فيما بعد.

وكان مصطفى كمال باشا أكثر حرصاً فى معاملاته على التعاليم الدينية بالرغم من قراره بأن يسلك سياسة دنيوية علمانية إلى حد ما بعد ما أيقن بأن نظام حكمه سيظل مهدداً من التيارات الدينية فى بلده ذاتها وما جاورها من بلدان الشرق (١).

توفى مصطفى كمال آتاتورك فى نوفمبر سنة ١٩٣٨م = ١٣٥٧هـ تاركاً جمهوريته المدنية فى أمان بفضل الإصلاحات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والعسكرية التى أرسى قواعدها ورعاها فى الأعوام الماضية، والتى كانت كفيلة بمنع قيام ثورة مضادة أو رد فعل من أنصار حكم الخلافة، ولكن الكماليين كانوا يدركون فى ذات الوقت أن الإسلام عاملاً هاماً بالنسبة للسياسة التركية، وأنه سوف يستخدم ضدهم إن لم يتخذوا الإحتياطيات الكفيلة لمنع ذلك، وكانت الوسيلة لذلك هى جعل الجيش التركى هو القيم والحارس على أساسيات النظام ومبادىء حزب الشعب الجمهورى الذى هو حزب مصطفى كمال والجمهوريين من بعده.

وخلال الجيل الأول للجمهورية كان حزب الشعب الجمهورى هو الحاكم بأمره فى تركيا الحديثة، وأهمل الإسلام كدين فى غالب الأمر، فيما عدا بعض الفترات التى كان الحكام يلجأون فيها إليه لإستغلاله فى كبح جماح بعض الجماعات المعارضة أو الطوائف المتطرفة. وظل الإسلام هو الدين الذى يدين به حوالى ٩٨٪ من السكان.

وعندما بدت فى الأفق إرهاصات سياسة تعدد الأحزاب عام ١٩٤٥م ١٣٦٥هـ والتنافس على نيل أصوات الناخبين، أجبرت هذه العوامل الجديدة حزب الشعب الجمهورى والأحزاب المعارضة الأخرى على إعادة النظر فى سياستهم التى انتهجوها تجاه الدين. ومن الجدير بالملاحظة أن حزب الشعب

1- Niyazi Berkes, The Development of Secularism in Turkey, Ist, 196, p. 431.

الجمهورى كان هو الذى بادر بذلك وسمح منذ سنة ١٩٤١م = ١٣٦٠هـ بإنضمام الدعاة والوعاظ الدينين إلى القوات المسلحة (١)

الإنتقال من ديكتاتورية الحزب الواحد إلى تعدد الأحزاب

ومع دخول صراع الأحزاب سنة ١٩٤٦م = ١٣٦٦هـ إلى تركيا انتقل النقاش والجدال من السياسة والديمقراطية إلى الدين والعلمانية كذلك، ومع إزدياد الحرية السياسية وتطورها أدى ذلك بدوره إلى إعادة تناول العلمانية وتوجهاتها. ويمكن أن نوجز ذلك الصراع فى ثلاثة تيارات، **المحافظون** وهم يرون فى الدين ضرورة ملحة لتطور الجانب الروحى فى الفرد والمجتمع وهو وسيلة بل نظام تربوى لا يمكن إغفاله. **والمعتدلون** وهم إلى جانب ميلهم نحو المحافظين فإنهم يعتبرونه من الحقوق الشخصية لكل فرد أى أنه حق من حقوق الإنسان طالما أن الحرية الدينية مكفولة. أما التيار الثالث وهو **التيار العلمانى** وقد كان معارضاً للدين أياً كانت الدوافع والغايات (٢).

المجموعة الأولى، تمثل الإسلاميين الذين يرجعون فساد الأخلاق، والإنحلال والمساوىء التى أصابت المجتمع إلى البعد عن الدين والتشبث بمظاهر المدنية الحديثة، ويرون فى العلمانية عنصراً من عناصر الإفساد الخلقى والثقافى إلى جانب التخريب الدينى للمجتمع والفرد على حد سواء، وبالنسبة لهم فإن الدين الإسلامى ضرورة معنوية ملحة للمجتمع التركى المحاط بقوى الإلحاد، وهو فى نفس الوقت لا يمانع فى الأخذ بمتطلبات التحضر للمجتمع المعاصر.

أما التيار المعتدل فهو يركز على أن الحرية الدينية حق من حقوق الإنسان ويؤيد التيار الأول فى توجهاته، ويذهبون إلى القول بأن العلمانية إذا كانت تطالب بعدم تدخل الدين فى شئون الدولة فهم كذلك يطالبون

1- The Tuyrkish Experment in Democracy, Feroz Ahmed, boulder Co.: Westview press, 1977, p. 363 - 365.

2- Prof. Dr. Kamal. H. Karpat, Türk Demokrasi Tarihi, Ist, 1967, S. 234.

الحكومة بعدم التدخل فى المسائل الدينية ويقولون إذا كان مفهوم « الدولة المرتبطة بالدين » قد ساد سابقاً فإنه قد حل محله الآن « مفهوم الدين المرتبط بالدولة » ، وكلا المفهومين متعارضين مع العلمانية . وبناء على ذلك فإن الطريق الواجب إتباعه هو عدم الزج بالدين فى مسائل السياسة والإدارة أو الحقوق أو المسائل العلمية ، وحصره فى الأفراد أو تركه للجماعات . وهذا التيار لا يقلل فى نفس الوقت من أهمية الدين بالنسبة للمجتمع التركى المسلم ، والحكومة الديمقراطية عليها أن تتوائم مع مطالب الشعب فى حرياته سواء المتعلقة بالعقيدة أو العبادة أو السياسة . وهو لا يقلل من أهمية الإسلام لأن المجتمع التركى مجتمع مسلم . وأن النظام الجمهورى لن تهدده أية أخطار إذا ما ترك الحرية الدينية للمجتمع . وأن المستفيدين والمنتفعين من وراء العلمانية هم الذين يتهمون المحافظين بالرجعية . وأن أفراد المجتمع التركى الذى تقدم بالدرجة الكافية قد وصلوا إلى مرحلة من النضج الإجتماعى والسياسى يجعلاه يعد الدين والعبادة جزء من الحياة . وينتقد المعتدلون وصف كل من يجعل للدين دوراً فى الحياة بالرجعية (١) .

وعلى النقيض من هذين التيارين ، كان مؤيدو العلمانية الذين يرون فى أى تسامح تجاه الدين خطوة إلى الوراء وتضحية بمبادىء الجمهورية ، ويدعون أنهم ليسوا ضد الدين الإسلامى كعقيدة وإعتقاد ، بل يعارضونه فى موقفه المحافظ من تغير المجتمع ذلك التغير المبنى على التقنية الحديثة ، ويؤمنون إيماناً راسخاً أن تركيا ومن حولها جميع العالم الإسلامى لم يحدث فيها من الإصلاح الدينى ما يؤهلها لقبول الأفكار الحديثة ، وحتى يحدث ذلك الإصلاح فهم يصرون على ضرورة استمرار سيطرة الدولة حتى يتم التقدم . وأنه طالما الدولة ضعيفة والعناصر الإسلامية نشطة وحرة الحركة فإن فى ذلك تهديد لبقاء النظام الجمهورى . ويذكرون دائماً بعصيان الشيخ بديع الزمان سعيد النورسى وذلك العصيان الذى حدث سنة ١٩٣١م = ١٣٥٠هـ فى « منمن » «Menemen» (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٣٨ .

ولكن مع اشتداد التنافس السياسى بدأ حزب الشعب الجمهورى فى منح إمتيازات جديدة للدين، وكان يأمل من ورائها فى أن يزيد من شعبيته وتأثيره على الناخبين وكسب أصواتهم.

أما الديمقراطيون الذين أدركوا أن هذا التغيير فى السياسة سوف يعرض مركزهم للخطر، فقد حاولوا أن يحموا أنفسهم بإستمرار باتهام الجمهوريين بمعاداة الإسلام والعمل ضده.

وقد حاول «شمس الدين گون آلتاى» « Şemsettin Gunaltay » رئيس الوزراء آنذاك تبرئه نفسه وحزبه من مثل هذه الإتهامات فأعلن أنه هو وحزبه كانوا يعملون على إطلاق حرية الإسلام فى تركيا. وأنه قد تم تنفيذ بعض من الإصلاحات حتى قبل الإنتخابات العامة سنة ١٩٥٠م = ١٣٧٠هـ. ولقد إتهمه الحزب ورغم أعتراض عصمت اينونو بأنه كان يستغل القوة الدينية فى الأهداف السياسية (١). ولكن سجلات الجيل البيروقراطى لم تستطع أن تمحى ذلك بتلك الامتيازات القليلة، بل على العكس من ذلك، فإن هذه الامتيازات قد أثارت شكوك الشعب وجعلته يشك فى إخلاص الجمهوريين ولطالما واجههم بحجج متواصلة تدين ماديتهم.

وبنمو التيار الدينى والفكر الليبرالى كان على حزب الشعب الجمهورى وحتى بدون إرهاصات تعدد الأحزاب أن يخفف من حدة المواجهة المادية والدنيوية وأن ينتهج سياسة أكثر تحرراً تجاه الإسلام، واقتنع الكثيرون من قواده بأن مثل هذا التغيير سوف يجعل النظام أكثر شعبية ويساعد على تضييق الهوية بين البيروقراطية والشعب. ولكن مع قرار سياسة تعدد الأحزاب هذه، كان عنصر المنافسة قد اشتعل وأصبح من المحتم إيجاد منفذ سياسى. وأوشك الحزب أن يسمح بثورة مضادة، إلا أنه من ناحية أخرى كان على كلا الحزبين، الديمقراطى والجمهورى أن يدفعا ثمناً باهظاً للحصول على أصوات الناخبين (٢) وقبل انتخابات عام ١٩٥٠م لم يكن

1. Lewis, The Emergence .... p. 411 - 418.
2. K.H. Karpat, Türk Demokrasi Tarihi, S., 247.

الديمقراطيون قد قدموا سوى الوعود الإنتخابية فقط، فى حين أن الجمهوريين كانوا قد قدموا امتيازات بالفعل إلا أن الشعب المتدين حسم المعركة لصالح الديمقراطيين وفازوا فى الإنتخابات.

الديمقراطيون والدين

كان الحزب الديمقراطى يعد الحرية الدينية من الحريات الأساسية للأفراد وبالنسبة لزعمائه، فطالما أن المجتمع التركى مجتمعاً مسلماً، فيجب السماح للمواطنين بتلبية مشاعرهم الدينية بالشكل والكيفية واللغة التى يرتضونها لأنفسهم بشرط عدم الزج بالدين فى المسائل السياسية اليومية (١). والعلمانية ـ عندهم تحترم حرية التفكير، ولكنها لا تسمح بإستخدام هذا التفكير فى سبيل أهداف سياسية للدين، وكان عليهم أن يجدوا صيغة معتدلة للتوائم بين ذلك.

كان أول إجراء للحزب الديمقراطى بعد أن تولى السلطة هو تعديل المادة، ٥٢٦ من قانون العقوبات والتى كانت تمنع الآذان باللغة العربية وتحرم رفعه بغير اللغة التركية، فأزالت الهيئة التشريعية هذا الخطر دون أية صعوبات فى المجلس وخيرت المؤذن بين أن يرفع الآذان باللغة التركية أو العربية، فأختارت أغلبيتهم اللغة العربية (٢).

وقد أثار هذا التعديل عدة ملاحظات من وجهة نظر المؤرخ والكاتب «بلن» « Belen ». ذلك أن مندريس طلب من مجلس الوزراء أن يتقدم بالإقتراح ويواجه هؤلاء الذين يفضلون أن يقدم بواسطة أعضاء اللجنة التشريعية فى المجلس، ذلك لأنه كان يرى أن الجمعية التشريعية يمكن أن تتهم بالرجعية فى حين أن الحكومة لا يمكن مهاجمتها بنفس الحدة لأن بها الكثيرين من الكماليين المعتمد عليهم (٣).

(١) حديث جلال بايار فى مدينه «[illegible]» و«أنقرة» سنة ١٩٤٩: أنظر: مجلة «وطن» شهرى يناير وإبريل سنة ١٩٤٩م.

2- Cumhuriyet, 17 Haziran 1950.

3- Belen, Demokrasi, S. 60.

وقد تم إدخال تغيرات أخرى، ففى الخامس من يوليو من نفس العام تم رفع الحظر المفروض على البرامج الدينية فى الإذاعة، وسمح بترتيل القرآن وتلاوته عبرها، وفى أكتوبر تم إدراج المواد الدينية كمواد أساسية فى برامج الدراسة بالمدارس، وأصبح على الآباء أن يلتزموا بإحضار أبنائهم بأنفسهم إلى هذه المدارس وليدرسوا هذه الدروس (١). ولم يعارض حزب الشعب الجمهورى هذه الإجراءات، بل صوت أعضاؤه البرلمانيون بالموافقة على قرار تعديل الآذان، وإذا كانت هناك أصوات معارضة لهذه الحرية فإنها صدرت بصورة أشد وضوحاً من قبل دوائر الحزب الديمقراطى الحاكم. ولقد كتبت جريدة الجمهورية «جمهوريت» فى التاسع من يوليو سنة ١٩٥٠م = ١٣٧٠هـ تقريراً بينت فيه بأن هناك موجه من النقد الشديد تسود أعضاء الحزب الديمقراطى بسبب رفع الحظر عن البرامج الدينية فى الإذاعة وسارت إشاعة قوية عن أن هناك استجواب سيقدم إلى المجموعة البرلمانية بهذا الصدد.

وحتى ذلك الحين كان هناك شبه إجماع على الإصلاحات والتغييرات الكمالية وكان الديمقراطيون يعتبرون أنفسهم كماليين كالجمهوريين، ولم يكن هناك أى حزب له القدرة على الإعتراض على فتوى مدير الشؤون الدينية التى أصدرها ضد الشيوعية والتى أعلن فيها أن الإسلام يرفض الشيوعية رفضاً مطلقاً بما فى ذلك نظمها أى كانت هذه النظم، وبالمثل يرفض كل أنشطتها. فالإيمان والروحانيات هما أمضى أسلحة ضد الشيوعية، إذ أنه ليس من الممكن أن يقتنع المؤمن الحق بأفكار الشيوعية وأنظمتها (٢).

وبإنتصار الديمقراطيين تفجر ذلك العداء الذى كان كامناً ضد الجمهوريين طوال العشرين سنة الماضية التى تولوا فيها الحكم. وكان على مندريس أن يأخذ فى إعتباره هذا الضغط، وأن ذلك قد أثر على علاقاته مع الحزب الجمهورى.

1- T.Z. Tunaya, Islamcilik Cerayani, 1962, S. 225.
2- Cumhuriyet , 28, Agos, 1950.

وقد كان مؤيدو الحزب الديمقراطى يضمرون فى أنفسهم الخصومة والعداء لحزب الشعب الجمهورى، أما الآن فقد أصبح حزبهم فى السلطة ولديهم القدرة والقوة التى يرونها كفيلة للإجهار بمشاعرهم ضد السياسات التى طالما كانوا يجدونها مخالفة لمشاعر الأمة وغير مقبولة لديهم على الإطلاق، وعلى الفور أعادوا للشعب حرية العقيدة ورفعوا الحواجز عن علماء الدين، وسمحوا لهم بالدفاع عن الإسلام فى شتى المحافل، وأنشأوا المساجد، وضاعفوا عدد مدارس الأئمة والخطباء وأساتذة علوم الدين، وسمحوا بإصدار المجلات والكتب التى تدعوا إلى الإسلام وحضروا المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى كراتشى سنة ١٩٥١م = ١٣٧١ هـ (١) وتم طرد السفير الإسرائيلى من أنقره وسحب السفير التركى من فلسطين المحتلة ولم يخف مندريس خطته الرامية إلى عودة تركيا إلى الإسلام وإلغاء العلمانية تدريجياً.

وظهرت تقارير سنة ١٩٥١م = ١٣٧١ هـ عن تشويه متعمد للأنصبة التذكارية والتماثيل الخاصة بكمال باشا آتاتورك، وعن وجود حركات معارضة لسفور المرأة فى المدن الصغيرة، بل وصل الأمر إلى مطالبة علنية فى مؤتمر الحزب الديمقراطى فى قونية إلى العودة إلى الحجاب، ولبس الطربوش بدلاً من القبعة والعودة إلى الكتابة بالحروف العربية (٢). وأستخدمت المواعظ الدينية ضد الجمهوريين وبهذه الطريقة حسبما كتب «شوكت ثريا آيدمير» فُتح الطريق لكى تدخل السياسة اليومية إلى المساجد

ولم يكن حزب الأمة الذى يتزعمه «حكمت بايور» «Hikmet Bayur» بأقل رغبة فى إحداث هذه التغيرات. مما جعل الجمهوريون الذين يعتبرون أنفسهم أعضاءاً فى الحزب الذى أسسه مؤسس تركيا الحديثة يشكون من كونهم قد وجدوا أنفسهم وحدهم حراساً على مبادىء آتاتورك وأنهم مطالبون

---

(١) العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية فى تركيا، عبد الكريم مشهدانى، المكتبة الدولية بالرياض «بدون» ص٣١٣ ـ ٣٢٣.

2. S.S. Aydemir, Kinci Adam, III Cilt, S. 109.

بالحفاظ على إنجازاته وبدأوا يركزون فى دعاياتهم ضد الحزب الديمقراطى بأنه لم يف بوعوده فى الحفاظ على المبادىء الكمالية، وأعلن «عصمت باشا» صراحة «أن مندريس قد انتصر بدعايته الدينية» ومن هنا وجد الحزب الجمهورى نفسه مضطراً إلى الحد من معارضة المظاهر المعادية للسياسية السابقة، وبغض النظر عن الأصوات التى علت فى الهجوم على آتاتورك، وأيضاً حد من معارضة للدعوات المطالبة بإعادة الحجاب والطربوش والخط العربى.

ورغم هذا التساهل، فقد كان الحزب الجمهورى يرى فى هذه الحركات المعارضة تهديداً للجمهورية ذاتها، تلك الجمهورية التى أخذت بمظاهر التقدم فى نظرهم، بل هى ربما تكون إجراءات إنتقامية مضادة (١). لكن مندريس استكثر أن يكون الجمهوريون وحدهم هم الحراس على الإنجازات الكمالية، فأعلن أن الحراس الحقيقيون على الإنجازات الجمهورية هى الأمة التركية كلها (٢).

وخلال السنوات الأولى لحكم مندريس لم تكن سياسته الدينية مميزة أو ذات بعد متصل بالحق الإسلامى، فعلى سبيل المثال، فقد أراد الإسلاميون النيل من المنظمات الماسونية وغلقها فى تركيا، إلا أن ما حدث فى عهد الديمقراطيين أن ازدهرت هذه المنظمات، وأصبحت أكثر رواجاً وافتتحت العديد من نواديها فى البلاد (٣) بل وصف الكثيرين من زعماء الحزب الديمقراطى بما فيهم مندريس نفسه بالماسونية، بل ذهب البعض إلى القول أن الماسونية لم تدخل البلاد إلا تحت حماية الحزب الديمقراطى.

ولقد كانت حكومة مندريس تتخذ موقفاً حذراً من الأنشطة المعادية خاصة بعد أن اتهمت بتحريضها، مما دفع بوزير الداخلية أن يرسل فى مارس سنة ١٩٥١م منشوراً إلى الولاة والمحافظين يأمرهم بإتخاذ الإجراءات

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٠.

2. Milliyet, 17 Mart 1951.
3. Cumhuriyet, I Nisan 1951.

الكفيلة بحماية التماثيل والنصب التذكارية والصور الخاصة بأتاتورك، وفى نفس الوقت رفعت قضايا ضد المعارضين لأتاتورك جهراً أمثال الكاتب الإسلامى نجيب فاضل قيصه كورك (المولود ١٩٠٥م) وأيضاً ضد المطبوعات الاسلامية المحرضة للطلاب مثل «بيوك طوغو» الشرق الكبير و«سبيل الرشاد» و«اسلاميت» (١) وأعلن نائب رئيس الوزراء صمد آغا أوغلى «أنه سيتم الإطاحة بالمعارضة وسحقها أينما أطلت برأسها» (٢).

وكانت الحكومة جادة فى اتخاذ الإجراءات الخاصة بالحد من التطرف، وقامت بحملة واسعة ضد أعضاء الطريقة التيجانية الذين كانوا يقومون بتخريب تماثيل أتاتورك، كما سجنت زعيمهم «كمال بلاف أغلى» عشر سنوات مع الأشغال الشاقة، وسمحت فى فبراير سنة ١٩٥٢م بتأسيس «نوادى الثورة التركية» التى آلت على نفسها حماية تراث ومبادىء الكمالية. وضمت أعضاءاً من حزب الأمة الجمهورى والحزب الديمقراطى، ما هى إلا أيام حتى أمرت بإغلاق الحزب الاسلامى الديمقراطى الذى أسسه البطل الاسلامى المشهور «جواد رفعت آتيلخان». ووصف بأنه حزب يمينى متطرف. وفى يقينى أن الحزب الديمقراطى لم يقدم على هذه الخطوات إلا بهدف نفى التهمة التى وصفتهم بأنهم محرضين على القلاقل الدينية.

وما هى إلا أيام، ولم تلبث الحكومة أن تخلصت من أى كبت لها تجاه الإسلام، وسمحت لكتابها الإسلاميين بالرد على أى اتهام لهم بمعادات الاسلام فكتب «ممتاز فائق فنيك» فى مجلة «ظفر» رداً على مجلة «ديوان كرتشى» التى اتهمت تركيا بأنها «ألقت جانباً بطابعها الاسلامى «فقال فى هذا الرد «...إن هذا الإدعاء غير صحيح، لأن الاسلام هو الدين الذى تدين به تركيا، بل منذ أن نبعث الحرية الديمقراطية من هنا والطابع الاسلامى يتجلى فى تركيا أكثر من ذى قبل.. ويجب أن نركز على أن الدين يجب أن يعزل عن الأمور السياسية، وأنه لم ولن يحدث أن استخدم

1- Ahmed Yucekok, Türkiye de Din ve Siyaset, 1971, S. 90 - 91.
2- Milliyet, 24, Mart, 1951.

أى أحد منا الدين كوسيلة سياسية لا على المستوى الفردى، ولا على المستوى الحزبى وأن الحكومة لن تتسامح مع هؤلاء الذين يحاولون إستغلال الدين فى مآرب سياسية (١).

وهالت العودة إلى الاسلام هذه، ومعارضة العلمانية والمنظمات اليهودية والماسونية التى لم تكن غافلة عما يفعله مندريس ورفاقه، كما هالها أن تجد رئيساً للوزراء فى تركيا يحاول الخروج بها عن الخطة التى رسمت لها، فأخذت تبث الدعاية ضده، ودفعت بالكاتب «أحمد أمين يالمان» صاحب جريدة «مليت وطن» أن يقود المعركة، وساعده فى ذلك أقطاب الدونمة (٢). مما دفع البعض لمحاولة اغتياله، فأشعلت هذه المحاوله حماس مندريس، فأعلن أن الحكومة لن تتهاون مع كل هؤلاء الذين يحاولون القيام بضغط فكرى أو سياسى وأردف قائلا «إنه فى نظام الحكم الديمقراطى الذى نتبعه فإن إرادة الأمة هى المهيمنة، ولن يسمح قط للتجاوزات الفردية» (٣).

وكانت النتيجة المباشرة لهذه الحادثة أن الحكومة أوقفت أنشطتها ضد اليمين، ولكنها فى نفس الوقت ضغطت على مجموعتها البرلمانية لإخراج «حسن فهمى أوسطه اوغلى» ممثل صامسون من المجلس بسبب مقالاته المعادية للعلمانية والثورة الكمالية. وزجت بنجيب فاضل قيصه كورك وسعيد نورسى فى السجن، وأغلقت «جمعية القوميين فى تركيا» والتى كانت تمثل الجناح الأيمن فى مقاومة الشيوعية، وإن كانت وزارة التربية والتعليم تحت رئاسة توفيق إيلرى قد سمحت لها بالعمل دون إشراف أو تدخل رسمى من الدولة.

وأخيراً للحد من هذه النشاطات المتعارضة صدر سنة ١٩٥٣ قانون

1- Zafer, 17, Tem 1952.

(٢) العلمانية وآثارها على الاوضاع الإسلامية فى تركيا. مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٤.

3- Türkiye de Gerici Akimlar, 179.

«حماية الشعور» بغرض منع استخدام الدين فى الأغراض السياسية. وكان الحزب الديمقراطى رغم تواجده فى السلطة يمثل الوسط وإلى اليمين منه كان الحزب الوطنى وإلى اليسار كان هناك حزب الشعب الجمهورى الذى عاد إلى روح النضال وقاد المعارضة. وبدأ يروج ضد الحكومة ويحذر من ردود الفعل المضادة.

رأى مندريس فى هذه الدعاية عجرفة وتهاون لم يلمسه الشعب من قبل، وأن هذا القول يماثل نفس الإدعاء بأن الشعب متخلف وجاهل وأن ما يسود بينه هو عودة إلى العصور الوسطى. وطبقاً لهذه الإدعاءات فإن المجتمع التركى مجتمع متخلف، وهذه إهانة للمجتمع، ولم يمض سوى وقت وجيز حتى عاد إلى الحديث عن نفس الموضوع وأعلن صراحة أن: «الأتراك مسلمون وسيظلون كذلك، وليس لأى أحد الحق فى انتهاك حرية المشاعر.. والمسلمون الحقيقون يعرفون كيف يحترمون المشاعر والمعتقدات الدينية للأخرين» فالدين يجب أن يبقى بعيداً عن أى نوع من الاضطهاد أو الظلم.. وأنه كما اتخذنا قرارنا بحماية الدين من أى نوع من أنواع الاضطهاد فيجب أيضاً أن نحول دون استعمال الدين كوسيلة للضغط على المواطنين..

إن هذا البلد لن يتسامح فى حق هذا الصرح المقدس، ألا وهو الدين ولن يسمح بإستغلاله من قبل حثالات المجتمع والمتسولين السياسيين، مثلما هو الحال فى إقحام الجيش فى الشئون السياسية.. وهذا فى حد ذاته يشكل جريمة بشعة، لهذا فهم يحاولون إستغلال الدين كأداة ووسيلة لأغراض وممارسات سياسية (١).

هكذا كان مندريس يتحدث واضعاً فى اعتباره حزب الأمة الذى كان منقسماً بين «حكمت بايور» الذى كان يعتقد أن الحزب يجب أن يظل موالياً للإصلاحات، وبين آخرين ممن يريدون للحزب أن ينفتح ويتخذ لنفسه موقفاً مميزاً.

(١) من حديث لمندريس فى اضنة، نشر فى مجلة «ظفر» نوفمبر سنة ١٩٥٣م.

وإذا كانت الغلبة للفريق الثانى، فإنه بذلك سيجذب الجناح اليمينى بالحزب الديمقراطى إلى صفوفه وهنا يكمن الخطر على الحزب الديمقراطى ذاته، وهذا ما كان مندريس يسعى إلى تجنبه فى المجموعة البرلمانية، عندما أعلن استحالة ذلك، ولو أدى الأمر إلى إغلاق حزب الأمة، وحذر من أن العقائد الدينية لا يمكن أن تقع تحت أى ضغط ما، ولن تستمر الأحزاب طويلاً عاصمة نفسها من الخلط بين الدين والسياسة، وأن هذا السلاح الغير شرعى إنما هو إنحراف عن الطريق الذى تفرضه اهتمامات البلد ومصلحته، وأنه سيأتى اليوم الذى يكون فيه من الضرورى عدم ترك أولئك الذين يتبعون هذا النهج المحفوف بالمخاطر، ألا وهو نهج خلط الدين بالسياسة (١).

ولكن حزب الأمة لم يأخذ بتحذير مندريس واستمر فى اتهاماته وتجاوزاته، مما دفع بالحكومة أن تتهمه بإدارة أنشطة تخريبية تحت ستار دينى، واغلقته، وفى يناير سنة ١٩٥٤ تم حل هذا الحزب اليمينى بمقتضى أمر من المحكمة (٢).

القضية أصبحت قضية سياسية:

خلال الفترة الأولى لحكم الحزب الديمقراطى لم يكن فى حاجة إلى الإعتماد مباشرة على الإسلام كدعامة لحكمة، بل أقام شعبيته على الحرية الدينية دون التضحية بالإصلاحات الكمالية. ولكن ما أن حانت إرهاصات الدعاية للإنتخابات العامة حتى حاول كل من الحزبين الرئيسين استغلال الاسلام كوسيلة دعائية له، فبينما أعلن الجمهوريون أنهم أعادوا فتح القبور، كان الديمقراطيون يذكرون أنهم هم الذين جعلوا الآذان بالعربية، وأتاحوا الفرصة للبرامج الدينية ونشر تعاليم الاسلام وتدريسه. ولما أعلن «قاسم گولك» سكرتير عام الحزب الجمهورى أن حزبه سيظل وفياً للإسلام، وزع الديمقراطيون صوراً له تناقض أقواله.

وقد لجأ الجمهوريون فى إنتخابات ١٩٥٤م إلى إستخدام الدين، وبنفس

1- Cumhuriyet, 5 Mart, 1953.

2- The Turkish Exp. in Democracy, p. 370.

التكتيك الذى هزموا به، واستخدم ضدهم من قبل، بل إن ما أثار الدهشة هو قرار عصمت اينونو رئيس الحزب الجمهورى الكمالى بالتعاون فى الإنتخابات مع التشكيل الجديد لحزب الأمة والذى يسمى نفسه الآن بحزب الأمة الجمهورى.

وكانت انتخابات ١٩٥٤م كارثة على حزب الشعب الجمهورى لعدم مصداقيته وفى نفس الوقت نصراً كبيراً للحزب الديمقراطى فاق ذلك الذى حققه فى الإنتخابات السابقة وكان اعتمادهم فى تحقيق ذلك على ولايات الأناضول الغربية ومنطقة مرمرة المتدينة. ومن الجدير بالذكر أن المقاعد الخمسة التى فاز بها حزب الأمة الجمهورى جاءته من «قيرشهير» التى تسيطر عليها الطريقة البكداشية (١).

ولكن لما اهتزت الأرض تحت أقدام الديمقراطيين بسبب الأزمة الاقتصادية، والانقسامات داخل الحزب عاد قادة الحزب إلى استخدام الاسلام كوسيلة لدعم مركزهم. وكانت سنة ١٩٥٨م هى أسوأ السنوات فى تركيا بالنسبة لوضع الاسلام، فقد توالت النكسات الاقتصادية، وزاد التضخم مما أجبر الحكومة إلى تخفيض قيمة الليرة إلى حوالى ٤٠٠٪، فزادت البطالة، وتفشت الفوضى والعنف وزادت الأسعار، وضاق الناس بالحياة السائدة، وأنها لحقيقة تاريخية أن الحكومات التى تجلب المصاعب والمعاناة إلى شعوبها فى أى مكان وفى أى عصر إنما تحاول أن تخفف من تلك المعاناة عن طريق استغلال الدين وفى عام ١٩٥٨ أصبح الحزب الديمقراطى وكأنه يعانق الثعبان بعد أن سقط وسط اللجج.

ومن هنا سمح الديمقراطيون للنشاط الاسلامى الرسمى وغير الرسمى لكى يطفو على السطح، فإلى جانب الآذان وتلاوة القرآن وتعليمه، سمحت الحكومة «للنورسيين» بمعاودة نشاطهم وطبع كتبهم، وتوزيع رسائل النور وشرحها على أوسع النطاق، كما سمحت بترجمة بعض الكتب العربية المتعلقة

1- M.E.J. VII/3/1954 p. 281 (Revival of Islam in Secular Turkey).

بالاسلام، وكتب المراقبون عن صحوة اسلامية فى تركيا، وأن الإسلام يجد أرضاً خصبة لدى الديمقراطيين

وتساءل العديد من المراقبين الأجانب والأتراك معاً عما إذا كان البناء الكمالى مهدد أم لا من قبل الامتيازات العديدة التى منحت للاسلاميين؟ وأصبح هذا هو الشغل الشاغل خلال الخمسينات والستينات وخاصة فى سنواتها الأخيرة.. وكانت أى حركة تأتى من القاعدة الجماهيرية تكون مثار شك.

وفى واقع الأمر لم تكن هناك أى مشكلة من البعث الاسلامى، ولم يكن فى مقدور هذه اليقظة الاسلامية أن تنال من البناء الجمهورى والكمالى بهذه السرعة، فقد بنيت الإصلاحات على أساس جيل من التغير الاشتراكى الاقتصادى، وأصبحت هناك طبقة عريضة قد استفادت من هذه الإصلاحات وليس من السهل أن تضحى بها بهذه السرعة.. ولكنها القوى الاجنبية التى أخذت تبث الدعاية ضد الاسلام ورئيس الوزراء الذى يحاول الخروج بتركيا عن الخطة المرسومة لها، وتكاتفت منظمات الماسونية والصهيونية والدونمة فألبوا صغار الضباط واستغلوا الأزمة الاقتصادية ومعاناة الطبقات المطحونة وأتاحوا الفرصة لمن تربوا فى أحضان العلمانية لكى يثيروا المشاعر، فاندلعت المظاهرات، مما اضطر القوات المسلحة أن تقوم بإنقلاب ضد الحزب الديمقراطى خاصة والحياة الحزبية والسياسية عامة وذلك فى السابع والعشرين من مايو سنة ١٩٦٠م = ١٣٨٠هـ وتم اعتقال مندريس وجلال بايار وحوالى ستمائة شخص من أركان النظام الذى شذ عن خطة أتاتورك، وأحالت قيادة الثورة المعتقلين إلى المحاكمة بناء على قرار من «لجنة الإتحاد الوطنى»، وبعد محاكمة دامت أكثر من سنة وتعددت فيها التهم حكمت المحكمة بإعدام مندريس وبايار وإثنين من رفاقهما ثم خفف الحكم على بايار لكبر سنه ونفذ فى مندريس ورفيقيه فى ١٩٦١/٩/١٧م ١٣٨١هـ.

ثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠ وظهور الجمهورية الثانية وموقفها من الدين:

كان هناك اعتقاد واسع الانتشار بأن النظام العسكرى الذى حل محل الديمقراطيين فى مايو ٢٧ مايو سنة ١٩٦٠م = ١٣٨٠هـ سيشكل تهديداً للنظم التحريرية الاسلامية التى انطلقت، وسوف يعيد الازدهار للنظام المادى الدنيوى الذى كان سائداً قبيل اندلاعه، بل واصلت الاشاعات رواجها وتردد بأن العسكرية سوف تعيد الأذان باللغة التركية، وأن المساجد سوف تحول إلى ثكنات، والبرامج الدينية ستحدد. ولكن «لجنة الاتحاد القومى» « U.N.C » لم يكن لديها أية نوايا لذلك، بل على العكس من ذلك بدأت فى محاصرة هذه الدعاية بانتهاج نهج مقرب إلى الاسلام.

وفى الثانى من يونية عام ١٩٦٠م = ١٣٨٠هـ صدر أول بيان باسم (اللجنة القومية المتحدة) تجاه الاسلام، وكان هذا البيان يشرح أثر الصلاة على تحرير الأمة. وأضاف أن «..النظام العسكرى سيحرمنا إلى الأبد من ذاتيتنا التى تحب أرض الأجداد. كما تحب جنسها والجنس البشرى عامة، وأن النظام العسكرى إذا ما استمر فسوف يحرمنا من شرف الأمة التركية التى جعلتنا نعيش هذه الأيام السعيدة» (١).

ولم تكن اللجنة موافقة بكامل أعضائها على هذه السياسة، بل كانت هناك مجموعة يقودها «توركش» « Türkeş » تتطلع إلى إقامة أيديولوجية قومية للإسلام ليست من خلال الشريعة فقط بل من خلال التعليم والإعلام. ولتحقيق ذلك انشأت هذه المجموعة فيما بينها هيئة تعرف باسم «اتحاد المُثل والثقافة « Ulku ve Kultur Birligi » تحت رئاسة العقيد توركش وقد تكونت هذه الهيئة لتكون على مستوى قومى وثقافى، وأعلنت أنها غير سياسية، وكان الغرض منها هو إتاحة المجال للتنمية الأخلاقية لدى الشعب التركى والشباب خاصة على ضوء الفكر الحر وايجابيات العلم الحديث.

وتخوف الضباط من نوايا ذلك الاتحاد، فأبعد توركش من مكتب رئيس

---

1. Feroz Ahmet: The Turkish Exp. in Democracy, p. 373,

الوزراء ولم يعد هو المتحدث الرسمى باسم الثورة، فتهاوى الاتحاد. وكانت الأغلبية فى لجنة الاتحاد القومى تبغى تحويل الاسلام إلى أداة قومية للدولة محافظة عليه من الأيدى المستغلة للجماعات السياسية على شتى اتجاهاتها. وأعلنت أن «الهدف الأعظم للجمعية الوطنية المتحدة هو المحافظة على ديننا المقدس الذى هو كنز من الحرية والضمير النقى، وانقاذه من أن تكون أداة فى أيدى الحركات السياسية المعارضة» (١). ولكن الشائعات انطلقت من جديد لتتهم الجمعية بالتدخل فى الدين. وأنها تنوى تحويل الآذان والقرآن إلى اللغة التركية مرة أخرى.

وكان المحتم اضفاء تصوراً قومياً وتقدمياً على الدين الاسلامى للحيلولة دون استخدامه أو إتهامه بأن يحول دون التقدم والاصلاح. ولقد آل جمال گورسيل على نفسه أن يقوم بهذه المهمة، فانطلق فى جولة إقليمية لحث الشعب على ذلك، وفى مالاطيه طلب من مستمعيه أن يبذلوا جهداً ملموساً لتحسين الوضع الاقتصادى، وأشار إلى أن «الاسلام يأمرنا بالعمل والتطلع إلى الكمال». وأعلن وهو فى أرضروم «أن هؤلاء الذين يدعون أن الاسلام هو سبب تخلفنا، إنما هم مخطئون، فالاسلام خاصة والدين عامة لا يمكن أن يكون سبب فى التخلف، إنما السبب هو اولئك الذين أساءوا تقديم الدين إلينا، فالاسلام هو الدين الأكثر قدسية والأكثر ايجابية والأكثر قوة فى العالم، فهو يدعو هؤلاء الذين يؤمنون به أن يحرزوا تقدماً وحكمة رفيعة، ولكن وعلى مدى قرون عديدة، قام أولئك الذين أساءوا إلى الدين بتفسير الاسلام لنا بطريقة سلبية وخاطئة فى نفس الوقت.. وهذا السبب الذى جعلنا نلهث خلف الأمم الأخرى فى العالم (٢).

وبصفة عامة، فإن لجنة الاتحاد القومى كانت مقتنعة تماماً بأنه من الضرر البالغ حصر المسألة الدينية فى مسائل هامشية كالحجاب أو الآذان أو استخدام الحروف العربية مرة أخرى وفى نفس الوقت ترى أنه من الضرر

---

(١) المرجع السابق ص ٣٧٤.

(٢) نفس المرجع.

اتخاذ موقفاً عدائياً تجاه الدين، بل إنه من الأحكم والأصوب بالنسبة للدولة أن تتحكم فى كيفية حمايته من أن يستغل عن طريق بعض من ذوى العقول الضيقة، والمعارضين وفى نفس الوقت فإن الدولة تحرص على صياغة المثل الاسلامية بصورة تخدم التغير الاجتماعى فى تركيا.

لقد قبلت لجنة الاتحاد القومى التغيرات التى حدثت خلال الخمسينات كإفتتاح مدارس الأئمة والخطباء والمعاهد الاسلامية العليا التى افتتحت خلال سنة ١٩٥٩م = ١٣٧٩ هـ ذلك أن هذه المعاهد كانت تدرب المدرسين الذين ستقع على عاتقهم مهمة القيام بالتقدم، ولذلك قررت ادخال مواد عصرية إلى هذه المدارس والمعاهد كالاقتصاد والفلك والقانون المدنى وعلم النفس. وأوضح وزير الدولة «خيرى موجى أوغلى» أن الحكومة حريصة على اعطاء أفضل التدريبات لرجال الدين لتمكينهم من القيام بمامهم بصورة أفضل، بل وإن المساجد سترمم وتصلح وسوف يستعان فى ذلك بخبراء من أكاديمية الفنون لأنهم على دراية بأصول العمارة الاسلامية التركية، وأن مديرية الشئون الدينية ستصدر مجلة «الخطب» لكى تشرح فيها ما يجب أن يلقى فى خطبة الجمعة، أما عن القرآن، فقد كان من الضرورى أن تترجم معانية كى يقرأه الأتراك ويفهمونه. وخلاصة القول فإن الحكومة سترفع أيديها عن المؤسسات الدينية وتتركها لرجال الدين، ولكنها لن تسمح لهم باستخدامها لأغراض سياسية (١).

وبعد أن ظلت لجنة الاتحاد الوطنى حقبة من الزمن متربعة على عرش السلطة، فإن سياستها الدينية قد أثمرت، وظهرت آثارها إلا أن ثمانية عشر شهراً لم تكن بالمدة الكافية لاستمرار عطاء هذا الثمر خاصة فى وجود أنظمة سياسية معارضة ومتنافسة، فقد سمحت اللجنة بعودة الحياة الحزبية والبرلمانية، ولم يكن فى مقدروها أن تفعل شيئا سوى أن تطالب القادة من كافة الأحزاب بأن ينشروا بياناً عاماً يأكدون فيه عدم استغلال الدين

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٧٥.

الاسلامى فى أغراض سياسية قبيل الانتخابات العامة سنة ١٩٦١ أو بعدها (١).

البعد الأيديولوجى:

خلال الستينات كان الاسلام فى تركيا فى حاجة إلى بعد أيديولوجى جديد، فبعد معاداة الليبرالية والراديكالية والاشتراكية والتى كان الغرض منها مجابهة تلك القوى التى ظهرت واستقرت مع ثورة ٢٧ مايو والوضع فى سنة ١٩٦١م = ١٣٨١هـ وذلك البعد إنما هو جديد من نوعه، ذلك لأنه تحت حكم مندريس لم يكن هناك أى نشاط راديكالى أو اشتراكى مسموح به، وحتى النشاط الليبرالى كان شبه معدوم، وكل ماهناك، أن الاسلام كان معادياً للشيوعية، وكان من الطبيعى أن يشهره اليمينيون كسلاح قاطع كلما شعروا بتهديد اليسار لهم، خاصة وأن اليسار قد رفض كل هؤلاء الذين حاولوا استغلال الاصلاحات التى استقرت بدستور ١٩٦١م = ١٣٨١هـ بما فيهم القوات المسلحة، وطبقة المثقفين فى حزب الشعب الجمهورى والرأسمالية المحلية وإقطابها مثل «وهبى قوج» «ونجاة أجزاجى باشى».

ولقد شهدت الستينات بداية لعملية تحول من الرأسمالية التجارية إلى الرأسمالية الصناعية، وقد تطلب هذا التحول اصلاحات كبيرة فى الميدان الزراعى وفى النظام الضرائبى الذى كان يقاومه ملاك الأرض الزراعية والطبقات المتوسطة، وخلال هذه الحقبة اعتبرت الشيوعية معادية للإسلام، وفى نفس الوقت كانت هناك أبعاد سياسية لبعض المذاهب الأخرى، وأخذت المعارضة تطلق لقب شيوعى أو «موسكوف» أو كافر على كل الراديكاليين أو الليبراليين والاشتراكيين. وهذا مايفسر صعوبة مقاومة هذه الانحرفات أو الشائعات من قبل الحكومة. وقد أدرك الليبراليون أنهم قد أصبحوا فى مأزق. فكتبوا مقالات عديدة يستنكرون فيها الوجود الشيوعى فى تركيا وتهديده لها.

وما أن ظهر حزب العدالة على المسرح السياسى وبدأت تظهر خطى

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٧٥.

سليمان دميرال نحو الزعامة حتى بدأت الاتهامات تنهال عليه بالماسونية وبأنه صنيع القوى التى تود أن تضرب الاتجاه الاسلامى من ناحية وأى تحرك تقدمى من ناحية أخرى. وما أن تم انتخابه بدعم من التيارات الاسلامية، حتى لاحظوا أنه خيب آمالهم فى الأيام الأولى فاتهموه بأنه يتجه بالبلاد نحو اليسار(١).

وبالرغم من تجارب الخمسينات، إلا أن السياسات الانتخابية استمرت على نهجها القديم خارج المدن الكبرى متخذه لها من العامل الدينى ستاراً لأغراضها، فى المقاطعات الشرقية كانت المعركة الانتخابية حامية الوطيس بين ملاك الأراضى «الاقطاعيين» والمشايخ والحجاج. وقد حاول الجمهوريون أن ينفوا عن أنفسهم تهمة الالحاد مدعين أنهم كانوا ذوى فضل فى دفع مواكب الحجيج إلى مكة، بينما حزب العدالة ظل يتهم كل من أعطى صوته لحزب الشعب الجمهورى بالشيوعية. وحتى عند الاستعداد لخوض انتخابات ١٩٦٥م = ١٣٨٥هـ لم تكن الصورة قد تغيرت فالحزب الجمهورى الآن فى المعارضة وهو مازال متهم بالشيوعية ومعاداة الاسلام، بينما الجمهوريون يتهمون حزب العدالة الحاكم بالماسونية والتنكر للمبادىء الكمالية.

ولكن فى يوليو سنة ١٩٦٥م = ١٣٨٥هـ قرر حزب العدالة أن يغير شعاره فى محاولة منه لنفى التهمة. وكان هذا القرار ذى أهمية بالنسبة للحزب وموقفه من الاسلام، فقد اختار لنفسه شعاراً جديداً عبارة عن كتاب قانون مفتوح وعلى صفحتيه حرفين هما «A.P». أما الكتاب المفتوح، فكان يرمز إلى القرآن، والحرفين فبالرغم من أنهما يدلان على كلمتى «حزب العدالة» « Adalet Partisi » إلا أن الحزب اتخذهما أيضاً للدلالة على كلمتى «الله» و«پيغمبر النبى» (صلعم). وكانت النتيجة فوز حزب العدالة فى الانتخابات العامة سنة ١٩٦٥م = ١٣٨٥هـ(٢).

ومما لا شك فيه أن الدارس للدعاية الانتخابية يجد أن جميع الأحزاب

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٧٧.

(٢) نفس المرجع، ص ٣٧٧.

ربما باستثناء «حزب العمال الأتراك» قد استخدموا الاسلام للوصول إلى مقاعد مجلس الشعب فى انتخابات ١٩٦٥. فالجمهوريون فى يسار الوسط وكانت الدعاية ضدهم تتهمهم بالاتجاه إلى الشيوعية قائلة «اورطه نك صولى موسكوه يولى» أى شمل الوسط هو الطريق إلى موسكو. وكان أنصار حزب العدالة يقولون «نحن فى يمين الوسط أى فى طريق الله» (اورطه نك صاغنده يز اللهك يولنده يز».

وفى النصف الثانى من الستينات عاد الاسلام من جديد ليلعب دوراً مفتوحاً فى المجتمع التركى، وحتى الجيش الكمالى الذى حدد القوى سنه ١٩٦٠م = ١٣٨٠هـ عاد واعترف بدور الاسلام التأثيرى إذ كان يحث الناس على اتخاذ الاسلام منهجاً لهم، وحتى سكان المدن الكبرى بدأوا يشعرون بالراحة مع دينهم. ويعد هذا الاتجاه نحو الاسلام والاقبال عليه واحداً من التطورات الاجتماعية الصحية فى تركيا المعاصرة. ففى هذا المناخ الجديد أصبح فى مقدور مدير الشئون الدينية أن يصدر فتواه دون أدنى اعتراض خارجى أو تدخل من المعارضة (١).

وفى خط متوازى مع هذا التطور كان هناك نمو فى التجارة والحرف، وبالمثل كان هناك نمو فى التعليم الدينى كمدارس تحفيظ القرآن والمعاهد المتخصصة فى الدين وعلومه. وكانت تنتشر انتشاراً ملحوظاً فى المناطق المحافظة والنامية والتى كان التأثير الدينى يلعب فيها دوراً مؤثراً جداً، بالرغم من أنها كانت فى حاجة الى جهد مضاعف كى تصل إليها التعاليم الدينية، وكذلك كانت هذه المناطق أكثر تعرضاً لتهديد القوى الرأسمالية والاقتصادية الناشئة، وإن كانت أكثر مخاوفها قد تمثلت فى التهديدات الناشئة، عن العناصر الحديثة والتى تمثلت أيضاً فى طبقة المدرسين العصريين الذين كانوا يحملون اولوية التعاليم الجمهورية. وقد ظهرت تقارير تفيد أن الجماعات المعارضة للتعليم الجمهورى قد قامت بوضع العراقيل أمام المدرسين فى هذه المناطق النائية. بل وصل الأمر إلى مهاجمتهم والاعتداء عليهم، مما دعى

(١) المرجع السابق، ص٣٧٨.

رئيس نقابة المعلمين بتقديم شكوى إلا أن السلطات المسئولة لم تقم بأى شىء تجاه هذه الأحداث وظلت الحكومة صامته مما شجع على غلق بعض هذه المدارس وتفشى الجهل بين أطفال هذه المناطق.

ويمكن للمرء أن يتسائل عن سبب هذا التطرف العنيف الذى ينمو يوماً بعد يوم دون تدخل ملحوظ من قبل الحكومة. ويبدو للعيان واضحاً أن الحكومة كانت تنظر إلى هذا التطرف الدينى على أنه مانع يحول دون اليسار وعلى أنه وسيلة لكبح جماح الراديكالية التى استشرت مع حركة ٢٧ مايو. بل وصل الأمر بوزير الشئون الخارجية فى وزارة حزب العدالة أن يطالب النظم المحافظة فى الشرق الأوسط أن تعمل سوياً لمواجهة التحركات المعادية للإسلام. ودعى وزير الدولة «رفعتسزگين» رجال الدين فى العالم الاسلامى للإجتماع ووضع خطة كفاح مشترك للعالم الاسلامى ضد التيارات المعادية له وخاصة الشيوعية وحركات التطرف. وقد شجعت الحكومة باسلوبها تجاه اليسار وبمناداتها بالجهاد ضد أعداء الرأسمالية شجعت قوى التطرف على أن تأخذ شكلاً عدوانياً باسم الدين.

وقد وجدت هذه القوى لنفسها متنفساً فى جماعات «رسائل النور» أى «النورسية» وهى بكل المقاييس ليست طريقة صوفية، بل هى حركة آلت على نفسها أن تحافظ على تعاليم الاسلام وتثبيت دعائمه فى تركيا فى فترة العلمانية، وتربى على تعاليم رسائل النور آلاف الشباب، وهم الذين يشكلون اليوم الحركة الاسلامية الواعية فى تركيا وخارجها ولهم مدارسهم فى جميع أنحاء البلاد، فى مدنها وقراها، وهذه المدارس تعرف بمدارس رسائل النور، حيث يدرس فيها القرآن الكريم والحديث وبقية العلوم الاسلامية... وهى ليست كذلك حزباً سياسياً يعتمد التنظيم والتدرج الهيكلى المعروف لدى الأحزاب.. بل تابعت كفاحها بالطريقة السلبية بمعنى الثبات على العقيدة والصبر على المكاره دون أن ترفع شعاراً ثورياً أو سياسياً، فقد كان شيخهم بديع الزمان سعيد النورسى (١٨٧٣ــ ١٩٦٠م) لايؤمن على الأطلاق بالمواجهة السياسية أو التدخل بالقوة، بل كان يعتقد أن القرآن

الكريم قد حرم التدخل فى السياسة، وكان منهجهم قائم على التبليغ دون قتال، والصبر على البلاء والعذاب ومواصلة الجهاد بالكلمة والمثل الصالح فى السيرة والخلق، ورغم وفاة الشيخ سعيد النورسى سنه ١٩٦٠م عن عمر يناهز الثمانين عاماً إلا أنه ترك وراءه مائة وثلاثين رسالة فى علوم الدين المختلفة ومئات الألوف من التلاميذ والمؤيدين، يشكلون اليوم قوة إسلامية ذات ثقل وتأثير فى المجتمع التركى المعاصر، وتأخذ مكانها البارز إلى جانب الحركات الاسلامية الأخرى.

ولقد استمرت هذه الحركة فى النمو طوال الخمسينات ومع بداية الستينات كان قد تم تنظيمها تحت سمع وبصر الديمقراطيين فى تركيا، بل لقد إمتد نشاطها إلى باكستان والسعودية. وفى أوروبا إنتشرت رسائل النور بين العمال المسلمين الذين وفدوا من كل أقطار العالم الإسلامى، وبدأت فى توجيههم من مركزها فى برلين. بل إن تأثيرها قد إمتد إلى كتل عريضه من طلاب الجامعات والدارسين وأعضاء هيئات التدريس وكبار موظفى الدولة (١).

أمام هذا النفوذ الدينى المتزايد وخاصة فى المدن الصغيرة، حذر عصمت باشا من التطرف بل ومن التعصب، قائلا: لا تشجعوا التعصب ولا تظنوا أنه أقل خطراً من الشيوعية، وكان بهذا التحذير يحاول لفت نظر الحكومة. وقد اتفق معه سليمان دميرال فى هذا التحذير ووعد بأن حزبه لن يعطى الفرصة للتطرف أو التعصب أو الشيوعية. ويبدو أن ديمرال كان صادقاً فى وعده هذا،

وفى ١٢ إبريل سنة ١٩٦٩م قد ركز «معهد رسالة النور» فى برلين نشاطه بين العمال الأتراك فى أوروبا الغربية، وبتمويل من ألمانيا وهولندا وأمريكا يقوم المعهد باعداد مواد دعائية توزع فى تركيا، وعلى سبيل المثال، فإن المساعدات الهولندية للمعهد قد قدمت من قبل شركة البترول الهولندية المسماه «مجموعة شيل» وسيكون الأمر مدعاة للتفكير والتعجب إذا ما

---

(١) العلمانية وآثارها على الأوضاع.. مرجع سبق ذكره ص٣٣٢ ـ ٣٣٦.

تزامنت هذه المساعدات مع المساعدات المقدمة من ألمانيا وأمريكا للحركات الكردية التى نشطت فى برلين أيضاً وخلال نفس الفترة.

واعتبرت جهات كثيرة هذه المساعدات تدخل أجنبى غير مباشر، وجاء هذا الادعاء مواكباً لنمو حركة عدم الانحياز فى تركيا والتى وجدت نفسها فى مواجهة مع الأسطول السادس الأمريكى فى المياه الإقليمية التركية، وتزايد الإقتناع بتدخل هذا الإسطول لصالح إسرائيل فى الصراع العربى الإسرائيلى خلال سنة ١٩٦٧م.. وتبددت هذه المواجهة، ليس فقط بالعنف الناشئ من رجال البوليس تجاه الحشود المعارضة لهذا الوجود، بل أيضاً من قبل الجماعات المتطرفه الجيدة التنظيم. ولعل أسوأ مثل لهذا العنف قد تم فى ١٦ فبراير عام ١٩٦٩، ففى خلال مسيرة احتجاج ضد وجود الأسطول السادس الأمريكى فى المياه الاقليمية، قامت مجموعة من أنصار «تركيا المسلحة» بمهاجمة مسيرة معارضة منظمة «تركيا المستقلة». وإنتهت أعمال العنف بمقتل شابين وجرح أكثر من مائتين آخرين. وسمى ذلك اليوم فى الصحافة التركية ب «الأحد الدامى» (١) ولم يمض وقت طويل حتى قتل آخرين من الطرف الآخر فى حرم الجامعة رداً على ذلك.

وبحلول ربيع عام ١٩٦٩م إمتد الاتصال الأجنبى بالتيار الاسلامى فى تركيا عبر شركة «آرامكو» للبترول التى سعت لكى تكون خلف المنظمة الإسلامية المعروفة برابطة العالم الإسلامى، ومثل تركيا فى هذه المنظمة «ياشار طونه گور» نائب رئيس الشئون الدينية والذى تمكن من نشر نفوذ المنظمة إلى مستويات أعلى فى الحكومة.

وهوجمت هذه السياسة، ليس فقط من قبل الصحفيين الراديكاليين أمثال «ايلخان سلجوق» فى جريدة الجمهورية، و«إلهامى صوبعال» فى جريدة «آقشام» = المساء، بل أيضاً من قبل بولندا آجاويد الذى تولى رئاسة الوزراء فيما بعد حيث قال: «..لم يكن لدى الأمة التركية ما تفعله تجاه الإختيار الصعب بين أن تكون مخلصة للدين أو تكون ضده.. وذلك نتيجة للخلافات القائمة فيما بينها،

1- Milliyet 17 Subat 1969.

وقد قامت حفنة من الناس فى تركيا، بمثلين عن أنفسهم، أو واضعين أيديهم فى أيدى أجنبية بإستغلال حالة الفقر المنتشرة بين غالبية الشعب.. وعملوا جاهدين على أن يبقى الشعب فى الظلام، كى يبقى فى خوف منهم ليستمروا هم فى استغلاله.. فهؤلاء المستغلون، وتلك الزيارات المشبوهة التى يقوم بها البعض، هؤلاء الذين يستغلون الانقسامات الدينية.. فهؤلاء جميعاً يقدمون أنفسهم على أنهم حماة الاسلام والمدافعين عنه وماهم فى حقيقة الأمر إلا مدافعين عن آرامكو» (١).

ومع حلول سنه ١٩٦٩ كانت هناك علاقة حميمة ومعقدة بين الدين والسياسة فى تركيا، فلم يعد الاسلام قوة تستغل قبل موسم الإنتخابات فقط كما كان يحدث فى الخمسينات، بل أصبح أداة تستغل ضد اليسار الراديكالى، وضد إرتباط تركيا بحلف «الناتو» حلف شمال الأطلنطى، وأن معنى ذلك فى نظر البعض أنه يجند وينظم كل العناصر المتاحة فى البلاد ضد التغير الإقتصادى والإجتماعى السريع لصالح الرأسمالية الاحتكارية. وفى هذه الأثناء، كان دميرال قد بدأ يفقد سيطرته على الحركة الاسلامية.

وقد كان على دميرال أن يعانى من المعارضة التى تأتيه من الجناح الأيمن فى حزبه منذ أن أصبح هو الرئيس، ولكن منذ عام ١٩٦٩م بدأ يواجه التحدى من خارج الحزب، من نجم الدين أربقان الذى فشل فى أن يحصل على تمثيل حزب العدالة كمرشح عن قونية، فقرر أن يخوض المعركة مستقلاً. وأربقان مثله مثل دميرال كان رجلاً تكنوقراطياً، فقد درس الهندسة الميكانيكية فى جامعة استانبول، وخلال الحرب العالمية الثانية حصل على الدكتوراه فى تكنيك الدبابات من ألمانيا الغربية، وهو ينحدر من أسرة محافظة عريقة فى التدين ولكنه كان يخالفه الرأى فى النواحى السياسية والاقتصادية، فدميرال يؤمن بالتنمية عن طريق رأس المال العالمى، والتحرر من كافة القيود المعوقة للتنمية، وكان يدافع بشدة عن البرجوازية الناهضة

1- The Turkish Exp. p. 382.

فى الأناضول وبضرورة ربط تركيا بالسوق الأوربية المشتركة وإزالة كافة العقبات التى تحول دون ذلك. وكانت السياسة التى إنتهجها دميرال قد أتاحت الفرصة لإتهامه بالماسونية وأن عدد نوادى الماسون والروتارى والليونز ـ وكلها منظمات مشبوهه ـ قد تضاعفت مائة فى المائة خلال أربع سنوات. ولكن أربقان كان يعارض ذلك بشدة، ويعارض إنضمام تركيا إلى السوق الأوربية المشتركة قائلا: «إن تركيا يجب أن تكون عضواً فى السوق المشتركة ولكن ليست فى السوق الغربية المشتركة بل فى السوق الشرقية المشتركة، إن تركيا تتخلف بعلاقاتها مع الغرب، ولكنها تتقدم فى ظروفها الحالية، فانها تصبح مستعمرة، إن السوق الأوربية المشتركة فى الوقت الراهن كمبنى من ثلاثة طوابق، اليهود الأمريكان يعيشون فى الطابق العلوى، والعمالة الأوربية فى الوسط، وهم فى مسعى لإيجاد خدم لسكنى البدروم، وذلك هو السبب فى رغبتهم فى ضم تركيا إلى السوق المشتركة..» (١).

دخل أربقان الانتخابات مستقلاً واستطاع هو والمستقلون الحصول على ٥ر٦٢٪ من الأصوات فى الانتخابات ١٩٦٩م وحققوا الجلوس على ثلاثة عشر مقعداً وأن يكونوا المجموعة الرابعة فى البرلمان، ونجح أربقان فى لم شمل الاسلاميين فى البرلمان، وقامت هذه المجموعة فى ٢٦ يناير سنه ١٩٧٠م = ١٣٩٠هـ بتكوين أول حزب لها، تحت إسم «حزب النظام القومى» ليعبر عن ارتباط عظيم بالدين، وجعلوا رمزه قبضة يد منطلقة فى الهواء، تمد أصبع الشهاد إلى الأمام.

عرف حزب النظام بدفاعه عن الدين كمحرك للحياة، ولقد بلغ من تحدى هذا الحزب، أنه لم يعلق فى مؤتمره صورة كمال آتاتورك، ولم يذكروه فى أى بيانات صدرت عنهم، بل أعلنوا أنهم عندما يصلون إلى السلطة سيعقدون جلسات مجلس الأمة فى جامع الأياصوفيا (٢).

---

(١) المرجع السابق ص٣٨٣.

(٢) العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية فى تركيا، مرجع سبق ذكره، ص٣٣٨.

جعل هذا الموقف المتطرف الحزب معرضاً للنقد العنيف فى المقالات والرسوم الكاريكاتورية فى الصحف، فاغلق فى مايو سنه ١٩٧١، وقدم اربقان للمحاكمة، لمخالفته لنصوص الدستور التركى. ومهاجمة مبادىء آتاتورك والسياسة العلمانية لحزب الشعب الجمهورى، ووعده بإغلاق المسارح ودور الخياله ومدارس البالية، ومنع مباريات كرة القدم.

لقد رأى دميرال أن زمام السيطرة على الحركة الإسلامية سيفلت من يده خاصة بعد تشكيل حزب النظام القومى والحزب الديمقراطى الجديد، فاتخذ موقفاً دفاعياً ضد الجماعات الدينية مثل النورسيين لا ليدمرهم ولكن ليبين أن وجودهم المستمر مرتبط بحسن نواياه هو، وقد ساعدت هذه الاجراءات فى أن يسكت اولئك الذين كانوا ضمن القوات المسلحة، والذين أزعجهم نمو وتطور الحركات المعارضة والمضادة، وليس ممكنا تقييم مدى النجاح الذى كان يحرزه دميرال فى استرجاع سيطرته على الحركة الاسلامية، إن لم يكن قد حدث التدخل العسكرى فى الثانى عشر من مارس سنة ١٩٧١ وظل هو فى السلطة، فصراع حزب العدالة مع منافسيه اليمنيين. حزب النظام القومى والحزب الديمقراطى الجديد ـ أصبح متوازياً. وبمرور الزمن ظهرت أحزاب جديدة، كان من أهمها حزب السلامة القومى الذى تأسس على أساس من الحزب السابق، وأسندت رئاسته إلى نجم الدين أربقان أيضاً، وقد دخل هذا الحزب إلى انتخابات سنة ١٩٧٣م وهو يحتل الموقع الثالث على خريطة الأحزاب فى تركيا وأهم مبادىء حزب السلامة القومى هى:

السلام والأمن فى الداخل، وامتزاج الأمة بالدولة، وتركيا الكبيرة من جديد، والنهضة الأخلاقية إلى جانب النهضة المادية، ورغم أن الحزب لم يشر إلى لإسلام فى مبادئه تمشياً مع نصوص الدستور التركى إلا أنه إعتمد فى دعايته الانتخابية على الاسلام، وحاز فى انتخابات ١٩٧٣م = ١٣٩٢هـ على ١٢٪ من أصوات الناخبين وشارك فيما بعد فى وزارتين كائتلاف فى الأولى مع حزب الشعب الجمهورى والثانية مع حزب العدالة، وحصل على سبع حقائب وزارية، وعين أربقان نائباً لرئيس مجلس الوزراء.

إعتمد حزب السلامة فى سياسته على الموضوعات الدينية ، ووجة عناية خاصة إلى معاهد الأئمة والخطباء فوصلت بجهود رجالاته الى ٩٧٢ معهداً بعد أن كان قد تناقص عددها إلى أربعين فى عهد «نهاد أرم» كما نجح حزب السلامة فى إقرار ساعة فى الأسبوع إلى المناهج الدراسية كدرس للأخلاق يتولى تدريسه خريجو مدارس الائمة والخطباء وجعلوه الزامياً ، إضافة إلى ساعة الدين الاختيارية ، دفع الحزب خلال مراحل الائتلاف الدولة لكى تساعد فى آلاف المساجد فى القرى وقد أنفق عليها من ميزانية الدولة ، كما تم دعم ميزانية الأوقاف الإسلامية ومديرية الشئون الدينية .

كماتبنى حزب السلامة القومى مبادىء الانفتاح على العالم الاسلامى وضرورة تطوير علاقة تركيا بالعالمين العربى والاسلامى فى جميع الميادين ولا أكون مبالغا إذا ماقلت أن هذا التيار كان وراء حضور وزير خارجية تركيا فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ، بل والدعوة إلى عقد مؤتمرها القادم فى مدينة إستانبول ، وقد تحقق ذلك فعلاً .

وإلى جانب مطالبة الحزب بقطع العلاقات مع إسرائيل وضرورة فتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى تركيا ، فقد طالب كذلك بضرورة وقف التعامل بالربا ووقف محاولات الإنضمام إلى السوق الاوروبية المشتركة وركز الدعوة على إنشاء سوق إسلامى مشترك (١) .

ويعرض نجم الدين أربقان فهمه للعلمانية على النحو التالى : «تركيا دولة علمانية بحكم الدستور ، وكان الحكام السابقون يفهمون العلمانية خطأ على أنها إرهاب فكرى وتسلط على معتقدات الناس وحريتهم الشخصية ، كانوا يفهمون العلمانية على أنها أفكار معينة لفئة قليلة من الناس على الشعب كله ، أما نحن فنحرص كل الحرص على أن لا يضطهد إنسان لمعتقده ، وننادى بأن من حق كل إنسان أن يفكر كما يريد ، فلا يمنع المسلم من أداء عبادته باسم العلمانية ، كما لا يمنع النصرانى من ممارسة هذا

1- Cumhuriyet, Milliyet, Akşam 3 Eylul 1975.

الحق، والذى يؤمن مثلاً بأن الربا حرام، له ذلك، ونحن نتيح له فرص استثمار أمواله بالحلال..» (١).

بلغت المدارس الدينية التى أفتتحت فى فترة الإئتلاف الثانى ثلاثين مدرسة، وبلغ فى عهدهم طلاب مدراس الأئمة والخطباء مايزيد على خمسين ألف طالب عدا المعاهد الإسلامية العالية، وبلغ عدد المفتيين فى تركيا خلال تلك الفترة ستمائة وتسعة وثلاثون مفتياً مابين مفتى ولاية ومفتى قضاء.

وخلال سنوات السبعينات كان التعليم الدينى إختيارى غير ملزم، وإن كان معظم الطلاب يتابعونه، ومدارس تحفيظ القرآن أهلية فى نشأتها والانفاق عليها منوط بتبرعات الأهالى وأوقاف أهل الخير والجمعيات المتخصصة فى هذا المجال وقد بلغ عددها مايزيد عن ثلاثة آلاف مدرسة وغالباً ماتكون بجوار المساجد.

إن حزب السلامة كان أملاً كبيراً من آمال المسلمين فى تركيا، ولقد انبثق كالقبس ليزيد النور توهجاً، وزاد من هذا الأمل إندلاع الثورة الاسلامية فى إيران، فأثبتت للجميع أن الحكم يمكن أن يكون حقيقة. بالرغم من أن العمل أمام التيار الاسلامى ليس سهلاً، فالقوى المضادة ماتزال هى المسيطرة فى تركيا، فالجيش وكبار الموظفين وقطاعات كبيرة من المثقفين، والقوى الخفية، ومؤامرات الغرب والمنظمات اليهودية والصهيونية والماسونية والشيوعية كلها ماتزال تتربص بالاسلام فى تركيا، وهذا مادفع بالعنف والتطرف والإرهاب أن يطفو على السطح فيما بين ١٩٧٠ ـ ١٩٨٠م. ورغم هذا فقد كان الصراع يميل فى كثير من الأحيان لصالح الدين ضد السياسة، وشاركت أحزاب اليمين فى حكومات إئتلافية، وإن لم تكن تعمر طويلاً.

---

(١) المرجع السابق.

ثورة ١٢ سبتمبر سنة ١٩٨٠ وظهور الجمهورية الثالثة:

وتكفى بعض الأرقام التالية للدلالة على مدى العنف السياسى وعلى أنه قد بلغ حدوداً غير عادية، ففى عام ١٩٨٧ كان هناك أكثر من أربعة آلاف قانون لمعالجة العنف السياسى، وحتى عام ١٩٨٠م بلغ معدل المفقودين شهرياً ١٨٣ فرداً كنتيجة للعنف السياسى (١). وقد أعلن الجنرال كنعان أوْرَن الذى قاد الإنقلاب الذى أدى إلى القضاء على الفوضى السياسية فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩٨٠م = ١٤٠١هـ انه خلال السنتين السابقتين فقدت البلاد ٥٢٤٠ قتيلاً وأصيب ١٤١٥٢ مواطناً، وهى أرقام جديرة بالمقارنة بتلك الخسائر التى لحقت بالبلاد خلال حرب الاستقلال التركية كلها (٢).

وفى تقديرى أن هذه الثورة التى أدت إلى قيام الجمهورية الثالثة فى تركيا لم يكن الهدف من سرعة الجيش فيها والاعداد لها إلا محاولة منه لوقف هذا النزيف الدموى من ناحية والحد من المد الإسلامى الذى تنامى وتزايد بعد الثورة الاسلامية فى إيران من ناحية أخرى، ولذلك وبعد أن رسخ العسكريون أقدامهم، ومضى ثلاثة عشر شهراً، كان لزاماً على كل الأحزاب السياسية الموجودة على الساحة أن تسرح، بل وتصادر الحكومة ممتلكاتها، وتمنع قادتها السياسيين من مزاولة العمل السياسى لمدة عشر سنوات (٣) وأُبعد الزعماء الدينيين عن استانبول وأنقرة. ونص القرار عدم عودتهم إلا بقرار من الهيئة التركية العامة.

فالجيش التركى منذ أيام مصطفى كمال آتاتورك له وضع خاص فى تركيا الحديثة، فهو حزب آتاتورك، والقيِّم على مبادئه، والحارس على أساسيات النظام الجمهورى، رغم وجود مساحة واسعة تسمح بتحرك الأحزاب والبرلمان، وهو يتدخل كلما رأى تهديداً من الحركات الاسلامية

1. Milliyet, 31 Kasim 1978.
2. Cumhuriyet, 6, Nisan 1981.
3. The Middle East Journal Vol. 39 No, Winterir 1985.
John H. Mc Fadden, Civil - Military Relations in The Thind Turkisn Republic, p. 70.

للعلمانية التى يعتبر نفسه حاميها والقيّم عليها؛ فإنقلاب ٢٧ مايو سنه ١٩٦٠م وانقلاب ١٢ سبتمبر سنة ١٩٨٠م ماهى جميعها إلا محاولات للحد من التيار الإسلامى المتطرف.

وبعد بداية الجمهورية الثالثة بقيادة الجنرال كنعان أوْرَن، قام الجيش بإعتقال زعماء الأحزاب السياسية، ووضعهم فى أماكن نائية من البلاد تحت حراسة مشددة. ولكن لم يحاكم محاكمة فعلية سوى الدكتور «نجم الدين أربقان» وحملته المحكمة مسئولية «مظاهرة القدس» التى ضمت ربع مليون متظاهر ووفوداً من إيران وباكستان وفلسطين والأردن ولبنان وتونس والجزائر ومصر وسوريا والعراق بالإضافة إلى رجال حزب الخلاص الوطنى وطافت بمدينة قونية فى الساعة الثالثة من ظهر يوم السبت ٦/ ٩/ ١٩٨٠ وهتفت هتافات إسلامية، وبحياة القدس، ودعى فيها أربقان المسلمين إلى تعبئة عامة لجهاد اليهودية وتحرير فلسطين. وأرتدى المتظاهرون الطربوش ورفضوا ترديد النشيد الرسمى، وهتفوا ضد أمريكا واسرائيل والشيوعية وأعداء الاسلام (١).

فالجيش فى تركيا لا يبدو فى الصورة السياسية، ولكنه يتدخل وبمقدار محسوب وفى الوقت المناسب، فرئيس الجمهورية المنتخب ما هو إلا رئيس أركان حرب القوات المسلحة، وفى القرارات الخطيرة المتعلقة بالوضع فى قبرص أو العلاقة مع اليونان والاتحاد السوفيتى أو حلف الأطلنطى فالجيش هو صاحب الرأى الأعلى والقول الفصل.

وقد تكون مجلس رئاسى فى تركيا من أعضاء مجلس الأمن القومى، وهو على شكل هيئة تنفيذية، ومدة خدماته ست سنوات، وخول الدستور الجديد السلطة للمجلس الرئاسى هذا فى تفقد العمل التشريعى، ومن حقه مراجعة التشريعات التى تصدر عن المجلس النيابى فيما يختص بالحقوق الفردية ومبدأ

---

(١) العلمانية وأثرها فى تركيا، مرجع سبق ذكره، ص٣٦٥.

العلمانية والأمن القومى والنظام العام وما شابه ذلك من الموضوعات المصيرية. وخّول الدستور الجديد رئيس الجمهورية الحق فى توجيه الشئون الدينية (١).

وفى الرابع والعشرين من إبريل سنة ١٩٨٣م رفعت معظم القيود عن النشاط السياسى وذلك بعد أن استقرت الأوضاع الأمنية فى البلاد، الأمر الذى سمح للأحزاب السياسية بالتشكيل من جديد. وعلى الفور تأسس حزب الديمقراطية الاجتماعية تحت رئاسة أردل اينونو ابن عصمت اينونو والذى يعد امتداداً لحزب الشعب الجمهورى مدعم العلمانية وراعيها فى تركيا.

ومما يلفت النظر أن جميع الأحزاب السياسية التى تشكّلت بعد رفع هذا الحظر سنه ١٩٨٣ كلها داعبت الشعور الدينى لدى الناخب التركى بدرجات متفاوتة، بعضها اكتفى بالتلميح والآخر أصر على التصريح فى برامجه السياسة على الارتباط بالدين فى خططه السياسية المستقبلية، وبمقدار هذه المداعبة نال الحزب مايماثل هذا القدر من الأصوات.

وتعد أحزاب «الصراط المستقيم» و «حزب تركيا العظمى» «وحزب الوطن الأم» إمتداداً صريحاً للأحزاب اليمينية القديمة مثل الديمقراطى وحزب العدالة وأن أقطاب هذه الأحزاب على صلة وثيقة بسليمان دميرال مؤسس وزعيم حزب العدالة اليمينى السابق، «وتورغوت اوزال» الذى ترأس حزب الوطن الأم الحاكم الآن قد عمل كنائب لرئيس الوزراء سليمان دميرال للتخطيط الاقتصادى ومثله فى ذلك مثل حزب تركيا العظمى فقد إتجه حزب أُوزال مباشرة إلى قلب مصوتى الجناح اليمينى المتدين والذين سبق وأن أيدوا حزب العدالة.

وأثبتت انتخابات ١٩٨٤م أن جذوة الشعور الدينى لم تخمد فى تركيا بل

1- Civil - Military Relations in the Third Turkish Republic, p. 69 - 77.

إنها فى توهج مستمر، وحصل حزب أوزال على ٥٤٪ من جملة الأصوات لينال بذلك ٢١٢ مقعداً زيدت ستة مقاعد أخرى فى الانتخابات التكميلية التى أجريت فى عشر ولايات تركية خلال الثامن والعشرين من سبتمبر سنه ١٩٨٦. ورغم إصرار السيد «تورغوت أوزال» على أن حزبه ليس إمتداداً لأى من الأحزاب السابقة، بمعنى أنه حزب جديد لا يحمل الخصومة لأى تيارسابق، إلا أن المراقب والمتابع لمجرى التيارات السياسية والدينية فى تركيا يدرك على الفور أن حزب الوطن الأم يحمل ميراث الأحزاب اليمينية المتاعقبة ابتداءا من الحزب الديمقراطى وحتى الجناحين المعتدلين فى حزبى العدالة والسلامة القومى. وأن توجهات هذا الحزب هى توجهات إسلامية عربية شرقية فى المقام الأول وإن لم يعلن تخليه مباشرة عن إرتباطات تركية السابقة، كالسوق الأوربية المشتركة وحلف شمال الأطلنطى.

ولا يقل الرئيس التركى كنعان اورن فى توجهاته نحو العرب والمسلمين عن رئيس الحزب الحاكم، ومما يدل على رغبته ــ ممثلا لتركيا ــ فى التقارب مع دول العالم العربى والاسلامى هو أن الرئيس التركى كرس معظم زياراته الخارجية حتى لأقطار هذا العالم، فقد زار المملكة العربية السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة والمملكة الأردنية والمملكة المغربية وباكستان واندونسيا وبنجلادش ومصر وتونس وقطر. وحضر بنفسه مؤتمرات القمة الاسلامية ولعب فيها دوراً بارزاً ومميزاً ويترأس اللجنة الاقتصادية المنبثقة عن منظمة العالم الاسلامى، وليس هذا إلا تجاوباً منه مع الشعور العام.

وما يحدث فى تركيا اليوم على الصعيدين الشعبى والرسمى ماهو إلا إتجاه ملحوظ لإحياء الدين والاهتمام باللغة العربية وإعادة الجسور مع العالم العربى والاسلامى، وأن هناك حركة تركية رسمية إلى جانب الحركة التركية الشعبية فى إتجاه العودة إلى الدين الاسلامى الحنيف وأن هذه الحركة الرسمية أى الحكومية قد نجم عنها بعض الأمور التى كانت محظورة رسمياً من قبل وهى الحضور فى مؤتمرات إسلامية وتدريس اللغة العربية فى المدارس الحكومية التركية وتعليم الدين الاسلامى فيها، وغض الطرف عن النشاط الدينى الذى تمارسه بعض الجماعات والذى كان ولايزال محظوراً

بصفة رسمية تطبيقاً لمبدأ العلمانية الذى ينص عليه دستور سنه ١٩٣٧م = ١٣٥٦هـ ثم السماح بإنشاء بعض المصارف الاسلامية فى أحد المجالات الاقتصادية الهامة.

وأن مايلفت النظر ويستوجب إمعان الفكر هو كون هذه الحركة حكومية رسمية، ذلك أن الشعب التركى ــ كماسبق الإشارة ــ لم يتخل يوماً عن دينه برغم علمانية السلطة فى بعض المراحل التاريخية، فإتجاه الحكومة التركية الآن لإحياء الدين ليس من قبيل نشر الدعوة فى شعب غير مؤمن بها، وإنما هذا من قبيل الاستجابة لتيار شعبى دينى كاسح لم يستطع ذلك الاضطهاد الذى دام أربعة وستون عاماً أن يئده أو يستأصله أو يتوقف هديره. ويكفى فى حالة كهذه أن ترفع الحكومة العقوبات والعقبات حتى تنطلق النفوس ويتدفق التيار من جديد طلقاً ومندفعاً بل وكاسحاً فى كل الأودية والدروب لتعمر النفوس من جديد ويعود الدين فى تركيا المعاصرة مشرقة واشعاعاته النيرة عامرة بالضياء.

المراجع

أولا ـ المراجع العربية:

١) ابن بطوطة، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٦٨م.

٢) الأرشيف التركى، دارة الملك عبد العزيز بالرياض، وثيقة رقم ٣٧٣٨.

٣) د. الحسون، على، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، دمشق ١٤١٢هـ / ١٩٨٢م.

٤) د. رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون، دمشق، ١٩٧٤م.

٥) أ. د. الشناوى، محمد عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، جـ١، القاهرة ١٩٨٠م.

٦) أ. د. كوبريلى، محمد فؤاد، قيام الدولة العثمانية، تعريب أ. د. أحمد السعيد سليمان، القاهرة

٧) د. المرسى، الصفافى أحمد، الولايات العربية والدولة العثمانية، الدارة، العدد الرابع، السنة الثامنة، رجب سنه ١٤٠٣هـ = ابريل سنه ١٩٨٣م.

٨) مشهدانى، عبد الكريم، العلمانية وآثارها على الأوضاع الاسلامية فى تركيا، المكتبة الدولية، الرياض (بدون تاريخ).

ثانياً : المراجع التركية .

9. Ahmed Yücekök, Türkiyede Din ve Siyâset, Istanbul 1971.
10. Aydemir, Sevket Sureyya, Ikinci Adam, cilt III 1950 - 1964, IV Bask, Ist. 1983.
11. Bulent Ecevit, Sözde Kalan bir Devrim, form, Kasım, 1965.
12. Prof. Dr. Cengiz Orhunlu, Osmanli Imparator Lugunun Güney Siyâseti Habes Eyâleti, Istanbul, 1974.

13. Ismail Kara,Türkiye de Islamcilik Düşuncesi, Metinler, Kisiler, cilt I, Ist 1986.
14. Prof. Dr. Kemal. H. Karpat,Türk Demokrasi Tarihi, Istanbule 1967.
15. Prof. Dr. Tunaya,Tarik Zafer,Türkiye de Siyâsi partilari, 1859-1952, Ist. 1952.
16. Ziya Gok Alp.,Türkcülügün Esaslari, Ist 1952.

ثالثاً : المراجع الانجليزية :

17. Ahmed Feroz, The Turkish Experment in Democracy, Westview press, 1977.
18. George Antonius, The Arab Awakening, Lon. 1939.
19. Prof. Lewis, permard, The Emergence of Modern Turkey, London 1972.
20. Prof. Niyâz Berkes, The Development of Secularigm in Turkey, Ist. 1964.

رابعاً : المجلات والجرائد التركية والانجليزية :

- Akşam Eylul 1975.
- Cumhuriyet, Haziran, Agostus 1950.
  Nisan 1951, Mart, 1953.
  Aralık 1965, Nisan 1981.
- Milliyet, Mart, 1951, Şubat 1969, Kasim 1972.
- Vatan Dergisi, Ocak, Nisan 1949.
- Zafer Dergisi, Temmuz, 1952, Aralık, 1953.
- The Midlle East Jornal, Vol. VIII, Marh, 1954. Vol 39 No. I winter 1985.

المهاجرون الأفغان ــ مشاهدات وانطباعات

للدكتور/ مأمون عاشور ــ كلية الطب

جامعة عين شمس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين

أيها الأخوة والأخوات إنه لمن دواعى الغبطه والسعادة أن أكون معكم الآن نحتفل بذكرى مجاهد اسلامى كبير حمل راية الجهاد الاسلامى ردحا من الزمن فى شمال العالم الإسلامى.

تلك المنطقة التى قدر الله لها أن تحمل راية الجهاد لقرون طويلة. وقد أكرمنى الله تعالى فيسر لى مصاحبة إخواننا من المهاجرين والمجادهين الأفغان حيث سافرت إليهم فى صيف عامى ٨٥و٨٦ ومن خلال تلك الصحبة مع المهاجرين والمجاهدين زادت ثقتى أن بوتقة الجهاد الاسلامى لن تخبو بفضل الله تعالى.

أحسست أن لى ملايين من الأخوة جمعنى وإياهم دين واحد ومشاعر مشتركة. إنك لاتشعر بالغربة بين المهاجرين الأفغان فقلوبهم مجتمعة على تقوى الله وسبيل الجهاد. رأيت الأفغان والأوزبك والتركمان ولمست فيهم عزة الاسلام وقد أعادوا لعالمنا الإسلامى معانى الجهاد والبطولة التى كادت أن تخبوا مع موجات الإلحاد الظالمة.

لقد عشت فى مجتمع الهجرة ومع المهاجرين ورأيت كيف يترك المسلم مظاهر الحياة المترفة ويخرج من وطنه بدينه وعزته وكرامته. رأيت كيف تركوا بيوتهم ليعيشوا فى الخيام، وأوطانهم ليعيشوا غرباء، وأموالهم ليعيشوا فقراء،

لكن مع شدة المعاناة لا تجد أثرا لليأس بينهم، كلهم عزم ومضاء وتصميم على إعادة مجد الاسلام الذى غفل عنه الكثير منا.

أصدقكم الحديث أيها الأخوة إن قلت لكم أنى استشعرت وأنا أتجول فى قرى المهاجرين الأفغان كأنى عدت قرونا إلى الوراء أنظر إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببساطة بيوتها وشوارعها الضيقة فرائحة الإيمان تنبعث من كل مكان، المساجد الكثيرة المنتشرة بين خيام وبيوت المهاجرين بسيطة ومتواضعة، جدران من الطين مغطاة بفروع الأشجار ومفروشة بالقش لكن الإيمان يطل من جوانبها ومن قلوب روادها.

لقد يسرت لى زيارتى للمهاجرين الاطلاع على أحوال جزء حبيب من عالمنا الاسلامى قدر الله سبحانه وتعالى له أن يجاور قوة الإلحاد الأولى فى العالم، وأن يكون خط الدفاع الأول عن أمة الاسلام. ترى أجناسا متعددة وتسمع لغات شتى فالأخوة الأفغان يتكلمون بأكثر من عشرين لغه أهمها الفارسية والباشتو ثم النورستانية والبلوشية ومع ذلك فقد انصهروا جميعا فى بوتقة الاسلام فالقلوب متآلفة والأهداف واحدة.

لماذا هاجروا ؟

تقدر بعض المصادر عدد المهاجرين الأفغان إثر الغزو الشيوعى الغادر على أفغانستان عام ١٩٧٩م تواطئا مع حكامها الخونة بحوالى خمسة ملايين، أكثرهم يقيم بمحافظات باكستان خاصة الغربية منها: شمالا فى بشاور وجنوبا فى كويته. ولا أظن أن هناك احصائيات دقيقة نظرا لاتساع الرقعه التى ينتشر فيها المهاجرون وازدياد عددهم كل يوم، وانتقالهم من مكان لآخر. وتلى ايران وباكستان فى عدد المهاجرين إليها، ويقدر العدد بأكثر من مليون. وقليل من الأفغان انتشر فى دول الخليج العربية وبعض الدول الغربية التى منحت المثقفين منهم فرصا للعمل بها، مثل ألمانيا وينظر البعض إلى محاولات الدول الغربية لاستيعاب المثقفين على أنها محاولة لاحتواء القضية الأفغانية.

سؤال طرأ على ذهنى وأنا انظر إلى عجوز ترقد على سرير بالمستشفى فى غيبوبة أرجع سببها إلى احتمال ضربة شمس نتيجة السير لفترة طويلة فى جو حار، فقد سارت المرأة مع أهلها من أفغانستان حتى وصلت إلى بشاور. دار هذا السؤال فى ذهنى لماذا يهاجر هؤلاء؟ أفهم ان الرجال يهاجرون لأنهم يدركون خطر النفوذ الشيوعى فى بلادهم، أو لأنهم مضيّق عليهم من السلطات الشيوعية لأنهم رفضوا أن ينضموا إلى الشيوعيين، وكثير منهم مهدد بالإعدام إذا عاد إلى أفغانستان نتيجة تمسكه بالاسلام ولكن لماذا يهاجر الأطفال والعجائز؟ لماذا هذه الهجرات الجماعية؟ لا شك أن أسبابا عديدة وراء ذلك، وراء أن يترك الإنسان موطنه ليعيش غريبا، وبيته وحقله ليعيش فقيرا؟ إن الرحلةمن أفغانستان عبر الجبال شاقة ومضنية فى وهج شمس الصيف أو ثلوج الشتاء. تطاردهم الطائرات الشيوعية تقتل وتصيب منهم الكثير. إن الظروف القاسية التى يعيشها المهاجرون فى أرض المهجر توحى لأى إنسان أن هؤلاء الناس لم يخرجوا إلا نتيجة استحالة العيش فى بلادهم، فلا يتصور الإنسان أن هناك أسوأ من معيشة هؤلاء فى خيام مهلهلة وجدران من الطين. أنهم أجابوا أن هناك شيئا واحدا أسوأ من كل هذا: إنه العيش مع الشيوعيين. أنه أسوأ مما يتصوره أى إنسان لذلك خرج الجميع شبانا وشيبا ونساء وأطفالا.

قال البعض أن الشيوعيين دمروا القرى بحجة أنها تأوى المجاهدين وأحرقوا الغابات والحدائق بنفس الحجة. الطائرات تقصف المنازل فى أى وقت. الكثير منهم فقدوا أهلهم. أبسط الخدمات غير موجودة والأمراض منتشرة بشراسة بين الناس، ذكرت لى طبيبة وقد سمعت اعتراضا على وجود بعض الأدوية التى قارب تاريخ مفعولها على الأنتهاء. ان الاطباء فى أفغانستان يستعملون لعلاج المرضى أدوية روسية مضى على انتهاء مفعولها سنوات عديدة وإن معظم الدواء فى أفغانستان يأتى من روسيا بهذه الحالة. قالت آخريات إن النساء فى أفغانستان مجبرون على خلع الحجاب، ومظاهر الاسلام تحارب بعنف قد يكون ذلك شيئا عاديا للشعوب الاسلامية الأخرى، أما أفغانستان

فالأمر يختلف، فهى تنفرد عن بقية البلدان الاسلامية، ان المستعمرين لم يستقروا بها أبدا، لذلك فإن أفكار التحلل جديدة عليهم.

مهندس شاب يدخر كل دخله ليبنى لأهله الذين وفدوا حديثا منزلا بسيطا بالصحراء، سألته لماذا اتوا إلى باكستان؟ فأجاب بأن قريتهم تتعرض بصفة دائمة للقذائف من قاعدة شيوعية على أعلى الجبل المجاور لها. وأن الزراعة توقفت ولكنهم خرجوا حينما أصبح استمرار الحياة مستحيلا تحت هذه الظروف. ان جميع الأفغان يتحسرون ويتألمون حينما يذكرون بلادهم وماذا فعل بها الشيوعيون أنهم أحرقوا الحدائق الجميلة والغابات وأصبحت الأرض الطيبة جرداء والقرى مهجورة لقد شاهدت بنفسى بعض الآثار فى الجبال الحدودية جدران مهدمة وأشجار محترقة وبقايا صواريخ تنتشر هنا وهناك.

شاب أفغانى فى حوالى العشرين من العمر ترك الدراسة وأنضم إلى المجاهدين ويعمل الآن حارسا، لاحظت ذكاءه وشغفه بالعلم، فهو يطالع أى كتاب أو مجلة يجدها باللغات الفارسية أو العربية أو الأنجليزية التى يتعلمها بسرعه فائقة. سألته وقد حيرنى أمره، لماذا يترك مثل هذا الشاب الذكى التعليم ليعمل حارسا؟ ولماذا يترك وطنه ليعيش غريبا؟

قال لى انه لا يطيق العيش مع الشيوعيين وإنه لو وافقهم على ما يعملون سيعطونه الأموال الكثيرة لكنه لا يستطيع أن يعيش معهم، انهم بلا عهد أو خلق. قال لى ألا ترى أنهم يقتل بعضهم بعضا فى كل مكان فى اليمن الجنوبى وأفغانستان وغيرها. أنهم يختفون الواحد تلو الآخر من قتل داوود ثم تره كى وحفيظ الله أمين، أين كارميل الآن؟ هل حدث هذا فى أى بلد من بلاد الله، إذا كان خلقهم مع بعضهم هكذا فكيف يكون مع باقى البشر؟ إن العيش معهم مستحيل لنا.

قال لى أحد المهتمين بقضية الشعب الأفغانى لكنه لم يعايش الأفغان عن قرب: لا يجب تشجيع الأفغان على الهجرة من أفغانستان ابدا، حتى لا يحدث فى أفغانستان ما حدث فى فلسطين. وكان الوقت غير متسع للنقاش ولكنى تذكرت الشيوخ والعجائز والمرضى الذين ساروا على أقدامهم مئات الكيلو مترات بحثا عن الأمن بعيدا عن الشيوعيين وضراوتهم. لا يوجد فى

صحارى باكستان مايغرى أحداً إنه فقط الجوع والحر ويجيبون من يسألهم هذا السؤال لماذا هاجرتم؟ بكلمات قليلة لأنك لم تعرف الشيوعيين جيدا إنك لم تعش معهم حينما يتسلطون على البشر. حينما تنعدم الأخلاق والمبادىء . حينما تهدر كرامة الإنسان ويفقد الشعور بالأمن والطمأنينة إن هذا أبشع من الفقر والمرض.

كيف يهاجـــــرون ؟

تحاول الحكومة الشيوعية فى أفغانستان منع أفراد الشعب الأفغانى من الهجرة بأية وسيلة ممكنة، ولو أدى الأمر إلى القضاء عليهم، حيث نزوح الشعب الأفغانى إلى الدول المجاورة يعرى تلك الحكومة العميلة أمام العالم ويكشف زيفها وإدعائها بأنها تعمل لصالح الشعب ورفاهيته. كما أنها تريد أن تجبرهم على الانضمام لصفوفها وكوادرها العميلة من جهة أخرى. ولذلك فإن المهاجرين يواجهون صعوبات شتى، فهم لا يسلكون إلا الممرات الضيقة فى الجبال سيرا على الأقدام لمسافات طويله حيث يصعب عليهم استخدام أية وسيله للمواصلات بتلك الطرق الوعرة، والمحظوظ منهم يجد حمارا أو بغلا يحمله جزءا من الطريق. الممرات الدولية بين أفغانستان والدول المجاورة تخضع للتفتيش الدقيق، كما أن الشيوعيين يضعون نقاطا للمراقبة على الطريق تتربص بالفارين من جحيم الشيوعية بل أن الأمر يتعدى ذلك استعمال الطائرات التى تنقض عليهم وهم يعبرون الطرق والممرات الجبلية. جاء مواطن أفغانى إلى أحدى مستشفيات بيشاور يحمل طفلة عمرها لايتجاوز العامين مصابة بطلق نارى بالرأس أسفرت عن تهتك أنسجة المخ، وبينما هو يسلم الطفلة إلى الأطباء حكى أنه وهو فى الطريق مع أخته وزوجته وثلاثة أطفال هاجمتهم الطائرات الشيوعية فقتل جميع من معه بقنابل الطائرات ولم يبق معه سوى الطفلة التى ماتت متأثره بإصابتها فى اليوم التالى. الثلوج التى تغطى الجبال والأمطار الثلجية لم تمنع المهاجرين من الفرار من داخل أفغانستان خلال أشهر الشتاء. صيدلى عربى يروى أنه على أحد الجبال الحدودية شاهد مجموعة من المهاجرين قادمة من أفغانستان يسيرون تحت المطر وملابسهم قليلة جدا، بينما كان هو وزميله يرتجفان من

البرد وهم يرتدون من الصوف ما يغطى رؤوسهم وأجسادهم حتى أقدامهم. البعض وخصوصا كبار السن يصاب بتيبس فى أقدامهم تموت معها تلك الأجزاء التى تتعرض للبرد الشديد فتحدث لهم حالة مرضية تسمى بقرصة البرد « Froset bite » أما فى الصيف فإن الشمس الحارقة تصيب الكثير منهم بضربة شمس وخصوصا هؤلاء الذين يأتون من المناطق الشمالية الباردة إلى المناطق شديدة الحرارة بباكستان. رأيت أمرأة مسنة فى أحدى المستشفيات فى حالة غيبوبه بعد سيرها فى الشمس عدة أيام وماتت المسكينة بعد ساعات فى المستشفى. ما زالت موجات الهجرة تتوالى من داخل أفغانستان رغم مرور سنوات عديدة على الحكم الشيوعى للبلاد، وقد وصلت فى صيف ١٩٨٦ مجموعة كبيرة من الأفغان ينتمون إلى مناطق الأوزبك المتاخمه للحدود السوفيتية، وقد سار هؤلاء لمدة ٤٠ يوما حتى وصلوا إلى باكستان، وقد وصلوا وثيابهم ممزقة وأقدامهم دامية من شدة ما عانوا طوال رحلة الهجرة.

تلك الصعوبات لا تمنع بعض المهاجرين وخصوصا كبار السن من محاولة العودة مرة أخرى إلى الداخل للإتيان ببعض أقاربهم أو الأطمئنان على أولادهم الذين منعتهم ظروفهم من الهجرة، وبعضهم يعود لكى يتزوج من قريته حيث أن الأفغان يحرصون على الأقتران بأقاربهم.

أما المجاهدون فهم دائما يخرجون ويعودون إلى أفغانستان متسلقين الجبال على أقدامهم أو على ظهور البغال والخيول وغارات الطائرات، وأكمنة الشيوعين لا تمنعهم من الوصول إلى أكثر المناطق بعدا على الحدود الصينية والسوفيتية والايرانية، بل أن بعض الصحفيين يدخلون معهم فى رحلات تستغرق شهورا طويلة قد تقرب من العام، وللمجاهدين قدرة كبيرة على تسلق الجبال يدركها من يعايشهم وذلك يرجع إلى تدريبهم على ذلك وكونهم قد عاشوا فى أماكن مشابهة، حيث تسود الطبيعة الجبلية أرض أفغانستان.

كيف يعيش المهاجرون ؟

لا يمكن على وجه الدقه وصف الحالة المعيشية للمهاجرين الأفغان فيوما بعد يوم من مخالطة المهاجرين تتكشف أوجه جديدة لمعيشتهم يتضح معها مدى المعاناة وقسوة الظروف التى يعيشها هؤلاء الناس. آلاف المهاجرين

مكدسون فى المعسكرات التى أقيمت تلقائية وفى أماكن تركها الباكستانيون أصلا لعدم صلاحيتها. لا تشعر بأن هناك مسئولية ادارية حقيقية عن تلك المعسكرات وأن أمورها تستمر لمجرد الشعور بالتآلف والأرتباط بين سكانها ومشاركة الجميع بعضهم بعضا فى خشونة العيش والتصدى لقسوة الحياة من حولهم. بعض المهاجرين يقيمون بالمدن بمساكن متواضعة يستنزف إيجارها معظم دخولهم، وهؤلاء هم من أستطاعوا أن يدبروا لأنفسهم عملا مع هيئات الإغاثة أو عملا خاصا فى المحلات أو المطاعم أو عملا حرفيا. على أن الأغلبية الساحقة من المهاجرين يقيم بالمعسكرات فى بيوت من الطوب اللبن والطين أو فى خيام محاطة بأسوار قليلة الأرتفاع من الطين أيضا. لا توجد مصادر ثابته للامداد بالماء والكهرباء لمعظم تلك المعسكرات وبين المنازل يلاحظ الزائر عددا كبيرا من المساجد التى تشارك المنازل أيضا فى بساطة التشييد، فهى غالبا من جدران طينية مغطى جزء من سقوفها بالخشب وعيدان البوص، والأرض على طبيعتها الرملية أو الترابية جزء منها مغطى بحصير أو أعشاب.

قد يشاهد الزائر أيضا فى بعض المعسكرات مبنى مدرسة بسيط أو عيادة أقامتها أحدى الهيئات الخيرية، أو مبنى لأدارة شئون المعسكر إذا كان تابعا للإدارة الباكستانية. بعض الباعة يتجمعون فى أماكن مختلفة بالمعسكرات لبيع الأغذية والخضروات وبعض الحلوى للأطفال، وهؤلاء إما أن يتخذوا لأنفسهم محلات صغيرة أو يجلسون بجانب الجدران، إمكانياتهم متواضعة وبضاعتهم قليلة والمشترون أيضا قلة. لا توجد أية وسائل للترفيه داخل المعسكرات، أجهزة الراديو نادرة، ولا يتوقع الانسان أن يجد الكتب متوفرة بين أيدى المهاجرين.

مشكلة المياه:

ساهمت الحكومة الباكستانية وبعض هيئات الإغاثة مثل الهلال الأحمر الكويتى والسعودى فى حفر آبار مياه للمهاجرين، وتختلف صعوبة الحصول على الماء من مكان لآخر تبعا لارتفاع سطح الأرض. فى بعض الأماكن يوجد الماء على عمق ٢٠ مترا وفى أماكن أخرى لا يوجد الماء حتى عمق

١٠٠ متر أو أكثر وفى هذه الأماكن يكون الحفر باهظ التكاليف، ويحتاج آلات حفر وماكينات رفع للمياه حتى إذا أمكن التغلب على هذه الصعوبات تبقى مشكلة عدم توفر الطاقة الكهربائية بكثير من المعسكرات لتشغيل ماكينات رفع المياه، والمولدات الكهربائية أيضا مرتفعة الثمن.

أحيانا يقوم المهاجرون بحفر الآبار لتوفير الماء لأنفسهم ويضعون فى أعلاها بكره معلقة بساق خشبية يمر عليها حبل فى طرفيه وعاءات من الجلد أو الصفيح لإخراج الماء بهما من البئر. لو نظرت فى أى بئر لادركت على الفور أن تلوث لمياه بكل أنواع الميكروبات والطفيليات شبه مؤكد فالآبار غير مغطاة ومعرضة لسقوط الأتربه وأى شى آخر داخلها. شاهدت الماء الخارج من البئر فى صفيحة مسلى قديمة لا يمكن ولا يستطيع انسان أن يشربه فكثير من الأحياء المائية تسبح فيه خلاف ما يحويه من التراب.

شاهدت شيخا أعمى يرفع الماء من البئر بصعوبة بالغة ويضع الدلو على الأرض الطينية حول البئر حتى يسكب ما به من ماء فى وعائه ويعيده مرة ثانية بما يحمل من طين إلى داخل البئر.

قام أحد الباحثين بتحليل المياه المأخوذه من عدة آبار ولاحظ أن البكتريا موجودة فى كل عينات الماء. ويبحث البعض الآن عن وسيله أصلح لجلب المياه من الآبار بواسطة ماكينات رفع إلى خزانات يمكن تطهيرها وأمداد الماء خلال مواسير مع تغطية الآبار وتعقيمها.

قد تظهر مشكلة صعوبة الحصول على الماء بعد استقرار المهاجرين فى مكان ما ويضطرون إلى ترك المكان إلى آخر، ويتحملون عناء الانتقال وبناء مساكن لهم من جديد. آخرون يعانون من بعد مصادر المياه عن مساكنهم، وعليهم أن يسيروا لمسافات طويلة للحصول على الماء من بئر أو عين فى بعض المناطق تفجرت عيون للمياه بفعل الصواريخ التى قذفتها الطائرات واخترقت سطح الأرض، وأصبحت مصدرا جيدا للمياه.

آثار استعمال هذا الماء واضح فى كثرة الوفيات والمرض بالنزلات المعوية والتيفود والدوسنتاريا. كما أن الأمراض الجلدية تنتشر خصوصا بين الأطفال

بسبب صعوبة الحصول على ماء يكفى للاستحمام، وعدم توفر مستلزمات النظافة كالصابون. سألنا صبيا يبدو على وجهه آثار الغبار عن عدد مرات الاستحمام فأجاب ٤ مرات فى الشهر. علما بأن شدة الحرارة وارتفاع نسبة الرطوبة تستلزم الأستحمام مرة أو مرتين يوميا.

دخل شاب تركى كان يرافق المجاهدين داخل أفغانستان إلى المستشفى يشكو من أنه يشعر بدماء تتساقط فى حلقه وبعد الفحص تبين وجود دودة غريبة يبلغ طولها ٤ سم ملتصقة بسقف الحلق وأخرجها الطبيب فى غرفة العمليات وتبين أنها «العلق» الذى كان يستخدم فى الماضى لفصد دم الإنسان وعلمنا أن يرقات هذه الدودة موجودة بكثرة فى مياه الجداول والعيون وأنها تلتصق بالحلق عند شرب المياه المحتوية عليها، وأنها أصبحت شيئا عاديا بالنسبة للأطباء الأفغان.

رغم تلك الظروف السيئة فإن الذى يتعامل مع الشعب الأفغانى يلمس حرصهم الشديد على النظافة، حتى الجريح منهم يأتى المستشفى نظيفا وملابسهم المتواضعة دائما نظيفة.

مشكلة الغذاء:

أن توفير الحد الأدنى من الغذاء لم يتحقق حتى الآن للغالبية الساحقة من المهاجرين الأفغان منهم من لا يملك أى مصدر ثابت للغذاء كالأرض الزراعية أو الحيونات، ولا يجدون عملا يكتسبون منه ما يشترون به ما يلزمهم من غذاء. والغذاء إما أن يأتى على هيئة معونة توزع عن طريق الحكومة الباكستانية للمسجلين لديهم، أو يوفره عائل الأسرة مما يكتسبه من دخل إذا استطاع أن يجد لنفسه عملا وتوزع الحكومة الباكستانية كما سمعت من مسئول أفغانى على الأسرة، كيل من القمح، وعلبة مسلى، وكمية من الشاى وأحيانا بعض السكر كل شهر كميات لا تكفى الاحتياجات العادية للبشر. بعض الهيئات الأغاثه توزع معونات غذائية لكنها غير منتظمة وتذهب فى الغالب للمعسكرات القريبة من المدن وفى عيد الأضحى يرسل كثير من المسلمين أموالا لشراء أضاحى لتوزيعها على المهاجرين، عدا ما يرسل من لحوم الهدى والأضاحى من مكة المكرمة.

بعض الأطعمة التى تصل إلى المهاجرين تفسد بسبب شدة الحرارة وانعدام وسائل الحفظ السليم لكن ذلك لم يمنع الأطفال من الأقبال على كعك أرسلته إحدى الهيئات العربية، وقد تغير طعمه من طول التخزين وارتفاع درجة الحرارة، ذلك لأنه لا يوجد بديل آخر أمامهم.

ان اطعام عدة ملايين من البشر ليس أمراً سهلا ولا يقتصر الأمر على ملايين المهاجرين بباكستان وإيران، إنما يتعدى ذلك إلى ضرورة توفير الطعام للآف المجاهدين ومن يعاونهم داخل أفغانستان، قد يعيش المجاهدون عدة أيام على كسرات من الخبز والماء. ونقل الطعام إليهم أصعب بكثير أيضا من الحصول عليه فالطعام يحمل على ظهور البغال والجمال لمسافات طويلة حتى يصل اليهم. إن تكاليف النقل تفوق تكاليف الشراء فى كثير من الأحيان.

حكى أحد المسئولين الأفغان أنه يرى فى الليل الأطفال وقد خرجوا من البيوت فى الظلام ليجمعوا الفتات المتبقى من معسكرات المجاهدين ليعودوا به إلى أمهاتهم اللاتى ينتظرنهم فى الظلام خلف الجدران، وقد منعهم الحياء من الظهور رغم شدة الجوع لا يتوقع أحد أن يستطيع هؤلاء شراء الفاكهة أو الحلوى لأطفالهم، فمن أين المال اللازم لذلك؟

سوء التغذية يبدو واضحا فى المترددين على المستشفيات قد ترى طفلا لا يستطيع حمل رأسه من فرط الهزال ومتوسط وزن السيدات المريضات لا يتعدى ٣٥ كجم مثل صبى فى الثالثه عشرة من العمر، كثيرا ما يخطئ الأطباء فى حساب جرعات الدواء لأنهم لا يدركون أن أوزان المرضى ضئيله جدا وليست كما تعودوا عليه فى باقى بلدان العالم.

أن الشعب الأفغانى بسيط فى عاداته الغذائية وكثير من أصناف الطعام العادية ليست متداوله بينهم مثل الجبن والحلوى والفول. الافطار عبارة عن الخبز والشاى والعشاء هو الوجبه الرئيسية ويتناولون فيه الأرز والخضروات المطبوخة يضيفون الدسم بكثرة قد يكون ذلك لتعويض قلة الطعام. يشربون الشاى بكثرة ولعدم وجود سواحل بحرية لأفغانستان فإن أعراض نقص عنصر اليود منتشره بينهم فتضخم الغدة الدرقية يصيب كثيرا من النساء والرجال.

عليهم. فى صيف ١٩٨٦ تسببت موجة الحرارة العالية فى إصابة الكثير منهم. مات سبعة من الصبية والأطفال فى معسكر واحد فقط. أشار أحد القادة الأفغان إلى جهاز تكييف ومروحة فى الحجرة وقال إن هذه أشياء أحضرت فقط للضيوف، أما نحن جميعا فهذه الأشياء ممنوعة داخل المعسكر. لا يستطيع أحد أن يتصور معنى أن يعيش الإنسان بدون تلك الأشياء إنه شئ أصعب من الجوع والعطش، إنك تحتاج جهاز تكييف طوال أربع وعشرين ساعة.

فى مناطق الحدود بالقرب من أفغانستان الجو أكثر لطفا لأرتفاع مستوى الأرض. لكن أيضا يلزم وجود مراوح حتى يستطيع الإنسان أن يعمل. أما إذا صعد الإنسان إلى الجبال داخل أفغانستان فالطبيعة من أجل ما رأى الإنسان، الجو الرائع والخضرة منتشرة. لم أعش هناك فى فصل الشتاء ولكننى لاحظت أن هناك مكانا ثابتا للمدفأة فى المنازل الباكستانية، ووصلات الغاز معدة، وذُكر لى أن فصل الشتاء أكثر برودة من مصر ولا غنى عن المدفأة طوال أشهر الشتاء. أكثر الشهور اعتدالا شهر مارس وسبتمبر يستطيع الإنسان أن يوقف المروحة ويطفئ المدفأة.

الثلوج على جبال أفغانستان طوال فصل الشتاء تحد من حركة المجاهدين وتنقلاتهم وغالبا ما يقل معدل الاشتباكات فى فصل الشتاء بين المجاهدين والقوات الشيوعية ثم تتصاعد بدخول الصيف مع ذوبان الثلوج.

باكستان والمهاجرون:

نزح معظم المهاجرين الأفغان إلى جمهورية باكستان الإسلامية ويعيش عدة ملايين منهم فى أرضها منذ عدة سنوات ويقيم قادة الجهاد فى باكستان خصوصا فى المناطق الغربية منها وتتم معظم أنشطة المنظمات الافغانية والهيئات الدولية التى تعاون المهاجرين فى باكستان وتقدم باكستان دعما ذو قيمة فعالة للقضية الافغانية فقد قطعت علاقاتها الدبلوماسية بالحكومة الشيوعية فى كابول وحدودها مع أفغانستان مفتوحة أمام المهاجرين المجاهدين وبخلاف ماتقدمه باكستان من دعم حكومى للقضية الافغانية فإن بعض الهيئات